الجمهوريه الجزائريه الديمقراطيه الشعبيه

وزارة التعليم العالى و البحث العلمى

المركز الجامعي العقيد أكلي أمحند اولحاج
بالبويرة
معهد اللغات و الأدب العربي
قسم اللغة العربية و آدابها

مذكرة لنيل شهادة الليسانس

جماليات أدب الرحلة عند ابن بطوطة

إعداد الطالبة :

جمال نوال

إشراف الأستاذة :

رشام فيروز

السنة الجامعية 2011/2010

إهـــــــداء

إلى منبع الطيب و الحنان ، إلى منبع الصبر و الثبات والدي ووالدي زوجي أطال الله في عمرهم .

إلى منبع الصدق و الدفء و الحنان ، إلى الشمس التي أشرقت على حياتي وعلمتني معنى الحياة زوجي الغالي حكيم .

إلى قرة العين و بهجة الأيام و أمل الحياة أولادي الأعزاء محمد لمين وأحمد عبد الرؤوف .

إلى أخواتي الحبيبات راضية وزوجها وبناتها وحكيمة الغالية ونعيمة الدلوعة وأخوات زوجي الغاليات فتيحة وزوجها و إبنها ونادية الدلوعة .

إلى أخو زوجي الفاضل سفيان وزوجته الغالية نسيمة وإبنتهما

إلى شقيقات دربي وشريكات أفراحي إيمان – مريم – لويزة جميلة – صبرينة – سمية – وإلى كل من ساعدني على إنجاز هذا العمل المتواضع من قريب و من بعيد

إلى أستاذتي الغالية رشام فيروز التي كانت خير سند وخير معين أطال الله في عمرها ، كما أهدي هذا العمل إلى كل عمال المكتبة و عمال الإدارة بقسم اللغة و الأدب العربي

مقدمة:

يعتبر أدب الرحلة جزء هام من التراث العربي ، وهذا الأدب جدير بالإهتمام ،فسلطنا الضوء على هذا النوع من الأدب للتعريف به ، و التعرف عليه و إرتأينا التركيز على أشهر الرحالين على الإطلاق وهو الرحالة " إبن بطوطة " في رحلته المسماة : " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " ، فهذا الفن له مسيرة طويلة و شاقة و متشعبة ، ويعتبر من ألصق الفنون في الادب العربي ، فالعنوان زاد في جذب ولفت الإنتباه ألا وهو " أدب الرحلة " فدرسنا هذا الموضوع من كل جوانبه و جعلناه موضوعا يستحق الإهتمام ، كيف ذلك ؟

فالكاتب و الرحالة " إبن بطوطة " من أعظم الرحالة المسلمين ، وهذا الكاتب من الرحالة الذين إستهووني كثيرا وأنا طالبة في قسم اللغة العربية و آدابها و كنت أشعر وأنا أدرس هذا الرحالة أن أقرأ كل شيئ عليه ، وأن ما يقال فيه غير كاف ويستحق أن يكون موضوعا لدراسة مستفيضة تليق بمكانته ، وحين قررت أن أقوم بهذه الدراسة شعرت أنني ملكت جوهرة فحققت حلما كان يراودني فأنا طبيعتي أيضا التجوال و حب المغامرات ، وهذا هو العنصر المشترك بيننا جعلني اهتم لهذا الرحالة و أحبته روحي ، وأحبت فيه تنقلاته و ترحالاته العديدة ، فبدأت أفكر كيف استطيع أن أصل إلى أحكام صائبة على هذا الكاتب ، وكنت أشعر دائما أنه كلما جمحت نفسي إلى التعجل علي أن أقاومها و أن أفرض عليها التريث .

فـ" إبن بطوطة " رحالة جليل ، وكيف لا ؟ فهو الذي جاب القارات الثلاث " أوربا ، أسيا إفريقيا " وحدثنا بالعجيب و الغريب عن البلدان .

فقررت أن أسعى إلى العمل الدؤوب كي أصل إلى الغايات التي أتوق إليها من خلال دراستي هته وقد قسمت البحث إلى تمهيد الموضوع حول مفهوم الرحلة و نشأتها و أهمتها ، و أنتقلت بعدها إلى الفصلين ، الفصل الأول تناولنا فيه سيرة الرحالة و المسار الزمكاني للرحلة ، و القيمة الفنية والتاريخية للرحلة ، أما الفصل الثاني فقد درسنا فيه الجماليات اللغوية ، وجماليات الزمان والمكان وجماليات التنويع الثقافي والإجتماعي .

وفي الخاتمة جمعنا اهم النتائج التي إستخلصناها من خلال بحثنا هذا وقد تتبعنا المنهج التحليلي الوصفي لرصد الظواهر المختلفة في الرحلات وتفسيرها و تحليلها .

أما رحالتنا فقد إتبع المنهج التاريخي لدراسة مسيرة الرحلة .

ومن بين المصادر و المراجع التي إعتمدتها و التي كانت بمثابة العون و السند نذكر منها : فؤاد قنديل " أدب الرحلة في التراث العربي " و عبد الرحيم مودن " أدبية الرحلة " ، نوال عبد الرحمن شوابكة " أدب الرحلات الأندلسية و المغربية .. و غيرها من الكتب التي زادت من إثراء هذا الموضوع ، وفي نهاية مقدمتي أتمنى أن أكون قد توصلت ولو لجزء مما أصبوا إليه ، فلا أدعي بلوغ درجة الكمال و خلوه من العلل ، فهو عمل قابل للزيادة و النقصان ، في ضوء ما يستجد من آراء و أفكار ، فإن أصبت الدراسة فبفضل الله أولا و بفضل الأستاذة المحترمة رشام فيروز ، التي أشرفت علي وبذلت لي من وقتها وجهدها ، وسدد الله خطاها و خطانا جميعا على الدرب الصحيح ، فإن زلت قدمي فعذرا فأنا طالبة علم والله من وراء القصد ، إياه أسأل الهدى والتوفيق وصلى الله على سيدنا محمد .

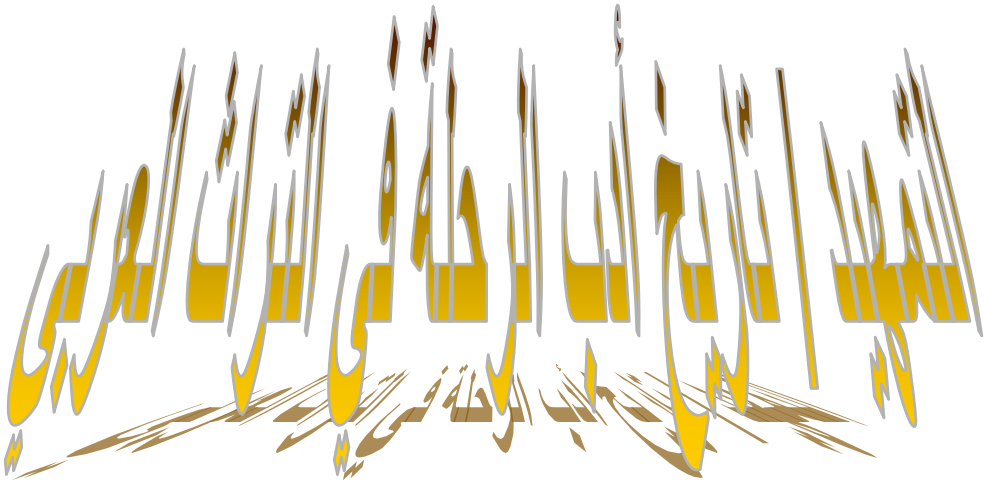
التمهيد | تاريخ أدب الرحلة في التراث العربي

المفهوم:

الرحلة هي جزء هام من التراث العربي وفن من الفنون القديمة وهذا الفن له مسيرة طويلة وشاقة ومتشعبة ، فهو من الصق الفنون بحياة الأفراد و الأمم ،و هو البساط الذي مهد مسارح عمليات التوسع الإسلامي والفتوحات الإسلامية و قد مارس العرب قديما الرحلة للتجارة والبحث والاستكشاف ، والبحث عن الكلأ و الماء، و قد ورد ذكرها في القران الكريم في مواضع كثيرة كقوله تعالى : "هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه و إليه النشور"-الملك 15-

و لعل هذا دليل على أن هذا الفن موغل في القدم. [1]
فكانت الرحلات إذا مجالا رحبا،ينطوي على علاقات إنسانية ضاربة في جذور التاريخ، منذ المحاولات الأولى للكائن البشري في السيطرة على الطبيعة ،و هي محاولات نرى فيها صورا صادقة لحياة الإنسان القديم و صفحات من جهاده "فيرتدي لباس التّرحال و التجوال ليمخر عباب البحار،و يتحمل أعظم المشاق" (2)

فأدب الرحلة هو مرآة للتجربة الصادقة الحية ،فالرحالة يحدثنا عن دخائل نفسه و تجارب حياته،حديث للنفس الساذجة لا تدوينا للمآثر والمفاخر ، فهو يرافقنا خطوة خطوة ، ويأخذ بيدنا في رفق ،متحديا كل العقبات و الصعاب ،حتى يصل معها إلى غايات كبرى .[3]

نشأة الرحلة و تطورها :

فن الرحلة هو فن قديم قدم وجود البشرية،و هو موغل في القدم فكانت الرحلة في الجاهلية بين تجار مكة ، كانوا يجوبون الأفاق في رحلتي الشتاء و الصيف ،وبعدها يجلس الرحالة والتجار في مكة ليقصوا في أنديتها على المستمعين مشاهداتهم و ما سمعوا من أخبار و قصص و حروب وحكايات و مغامرات.

.ولم يدون الرواة حكايات الرحالة إنما كانوا يتناقلونها شفاها فاحتفى المسلمون بالرحلات لأنها من صميم عقيدتهم،فقد كانت الرحلات في زمن الرسول صلى الله عليه و سلم محدودة نوعا ما لأنهم كانوا مهتمين بالرسالة و إرساء قواعد هاو تثبيت أقدامها.[4]

---

(1) : ينظر: محمد رياض الوتار ،توظيف التراث في الرواية العربية،منشورات اتحاد الكتاب العرب،دط، دمشق، 2002،ص204.

(2) : نوال عبد الرحمان الشوابكة ،أدب الرحلات الأندلسية و المغربية،وزارة الثقافة،ط1،عمان 2008، ص 73

(3) : المرجع نفسه ص 134.

(4) ينظر : فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ، مكتبة الدار العربية للكتاب ، ط2 القاهرة 2002 ، ص32.

ومع ذلك فيمكن اعتبار الهجرة الأولى التي قام بها نفر من الصحابة إلى الحبشة وكان على رأسهم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يمكننا اعتبارها رحلة ، والهجرة الثانية التي خرج بها الرسول صلى الله عليه و سلم و معه أبو بكر رضي الله عنه من مكة إلى المدينة لحماية الدين الجديد فإنها تعد رحلة أيضا.[1]

فكل مبادئ الإسلام قد شجعت على الرحلة ودفعت إلى السفر والحض على العلم والسعي في الأرض من اجل الرزق , كذلك من رخص الإسلام أيضا إباحة تعدد الزوجات، فكان هذا الأخير عاملا مسهما في تخفيف بعض متاعب السفر والأسفار.[2] كما شجعت هذه الرخصة الحكيمة رجال الرحلة على التجوال وقطع المسافات والنهل من العلم على مهل.

فكان بعضهم يتزوج في البلاد التي ينزل فيها فترة من الزمن ومن الطريف في هذا الصدد أن رحالتنا"ابن بطوطة" كان واحدا منهم ، فأقدم رحلات العرب المسلمين أيضا رحلة الإمام الشافعي في طلب الحديث النبوي الشريف، وهذه الرحلة أملاها الشافعي على تلميذه "الربيع بن سليمان" وهي تصف رحلته إلى مكة المكرمة و المدينة المنورة ، والعراق ، وفارس، وقد سجل فيها ما شاهده من معالم و أثار.

ورحلة "أبي القاسم محمد بن حوقل" و قد استمرت رحلته ثلاثين سنة، سجلها في كتابه "المسالك والممالك", و رحلة "القز ويني" التي سجلها في كتابه "آثار البلاد و أخبار العباد" فتحدث عن حكايات الأمم السالفة و ذكر القبور و ما دون عليها، و ما سمعه من الأولياء و الصالحين.و رحلة "التجاني" و "الإدريسي" و "ابن جبير" و "ابن خلدون" و كثيرون جدا .

و لا ننسى رحّالتنا الشهير "ابن بطوطة" ، أشهر رحالات العرب في المستوى العلمي و الشعبي أعظم الرحالة على الإطلاق.[3] ، فقد بدا لنا الآن أن هذا المجال قد انتصر انتصارا عملاقا في مجال البحث و التحقيق و لم يقتصر الرحالة العرب في رحلاتهم التجارية على البلاد العربية فقط بل تعدوها إلى الهند و سيلان ،و اندونيسيا ،و الفيليبين،و الصين و شواطئ إفريقيا الشرقية والغربية.[4]

---

(1) ينظر : فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي ، ، ص 36 .
(2) محمد صابر عبيد السيرة الذاتية الشعرية ، عالم الكتب الحديث ، ط1 عمان 2007 ، ص 134 .
(3) ابراهيم السعافين ، اساليب التعبير الادبي ، دار الشروق ، ط1 ، عمان 1997 ص 226
(4) ينظر فؤاد قنديل ، ص 32

كما حظي هذا الأدب ببعض العناية من جانب بعض المستشرقين ، الذين يتقدمهم العالم الروسي الكبير "اغناطوس كراتشوفسكي" فاعترف بهم الكثيرون من الأجانب الباحثين الكبار واعترفوا بجهودهم ونوهوا بقيمة رحلاتهم من حيث مادتها و أسلوبها و طريقة عرضها فمستوى الحضارة التي بلغتها الأمم كان بفضل الرحلات [1]

فلقد جاب الرحالة كل الأرض المعمورة في أزمانهم ، ودونوا ملامحها الإنسانية والاقتصادية والمعمارية والثقافية والجغرافية وخدموا العلم ، كما خدموا الفتوحات الإسلامية خدمات جليلة وفتحوا أمام الطلاب أفاقا جديدة ورحبة و نوافذ عديدة . فالرحلة بعد كل هذا ، فيها من المعلومات ما ينتفع بها كل باحث وهي منابع غنية بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور وأخبار ومغامرات ومعارف و علوم .

إنها خزائن تحفل بالمادة الثرية ، لا في مجال الجغرافيا و التاريخ فحسب ، بل تلم بالحضارة كلها فهي تمثل تجربة تعكس صورة الإنسان عبر العصور ، فمن خلالها نرى العالم و العديد من مظاهر الحضارة الانسانية ونسافر مع الرحالة فالإنسان رحال بطبيعته تواق جدا إلى المعرفة و ارتياد المجهول وخب الاكتشاف [2]

أهمية الرحلة:

ادب الرحلة في التراث العربي هو ذلك الابن النجيب ، الذي أنفقت السنوات في تربيته ، حتى يأخذ الموقع و المكانة التي تليق به فهي تسبر أخبار العرب و العجم و تجمع التليد و الطريف مما يقع عليه بصرها من مشاهدات ، و هي تسجل تراث الأمم و الحضارات .[3] ، فالرحلة هدف يتمناه العقل و تسعى اليه الروح ولكن : "ليس من رآى و أخذت الأسفار من عمره كمن سمع أو قرأ"(4) قد عمل الرحالة على اكتشاف البلدان الجديدة بمدنها و قراها و ما يقتضي من معرفة المسالك المؤدية إلى ذلك .

و كانت تلك الرحلات هي أساس علم الجغرافيا ، فكانت هي السبب و المهد في عملية التوسع الإسلامي كي يعرف طريقه في يسر و قد أدهش هذا التقدم في الفتوحات الإسلامية الكثير من المستشرقين فخلال قرن واحد تتشكل اكبر إمبراطورية عرفها التاريخ .[5] فقد أدى الرحالة دور السفراء و الممثلين لبلدانهم و مجتمعاتهم في البلدان التي زاروها أو تزاوروها ، و كل ذلك كان له اثر في توجيه فكر الأمم و إيقاظ شعورها في التصريح أو التلميح

---

(1) ينظر،فؤاد قنديل ،ادب الرحلة في التراث العربي ص68،
(2) المرجع نفسه ، ص 34 .
(3) المرجع نفسه ، ص 35 .
(4) إبراهيم السعافين ،أساليب التعبير الأدبي ،ص221.
(5) حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي في المغرب ، منشورات المكتبة ، البولسية ط 1، بيوت ،1982 ص284.

فقد شجع الملوك والرؤساء في المغرب أصحاب الطموح فساعدوهم و رعوا مصالحهم ، فاتسعت حركة الأسفار وازدهرت حركة التدوين العلمي والجغرافي ، وكان من أهم أسباب تدوين الرحلات هو الحاجة إلى معرفة الطرق الكبرى التي تربط بين دولة و أخرى ، تليها الفئة التي تود تدوين مشاهداتها راضيين بكل مشقة في سبيل السفر وفي أداء فريضة الحج ، فالكتابة في فن الرحلة يلم بالعديد من الجوانب فضلا عن السيرة الذاتية والحكم على المجتمعات.

فقد أفاد هذا الفن في صرف أصحابه في اغلب الأحيان عن اللهو والعبث اللفظي إلى التعبير عن السهل المؤدي إلى الغرض.[1] ، فقد عد أدب الرحلات لدى العديد من الدارسين من أهم فنون الأدب العربي ، و هو انجح أدب ، فبسرد الرحالة لما شاهدوه أو وصفوه ، فنحن نحس أنفسنا و كأننا نحن من قام بهذه الرحلة ،فنحن نعايش الموقف معهم و نتجول معهم دون شعور منا فبآلية الوصف المشهدي التي يقوم بها الراوي وهو يسخر حواسه كافة لتعمل بأقصى طاقاتها في الملاحظة والتصوير تعكس نتائج ذلك في مدونات أدبية ، فهي سجل حضاري وثقافي.[2]

فهده الرحلات وكثرتها وتعدد أسماء الرحالة ،فهي منبع لاتنضب إن تمدنا بمادة لا غنى عنها للتواصل الإنساني ، و قد مثلت هذه الرحلات اتجاهات مختلفة بما فيها من مادة وفيرة تقترب من الموضوعية لدى "ابن جبير" و من الخرافة و الغرائبية كما تجسدها رحلة "ابي حامد الغرناطي" و "ابن بطوطة".
وهي تقترب الى الترجمة الذاتية التي تبرز بشكل كبير عند المؤرخ المشهور "ابن خلدون" فمضمون الرحلة هو الحياة نفسها بكل جوانبها و معطياتها.(3)

فهي سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ،تصور أحوال الناس و أشكالهم و طبائعهم و سلوكهم وعقائدهم ، و كل ما يمكن ان يرى ، و أخيرا نستنتج إن أدب الرحلات قد افاد الكثير من الفنون التعبيرية فله علاقات عضوية قوية بكثير من الاشكال الادبية الاخرى مثل المذكرات و اليوميات و فن السيرة الذاتية و فن الرواية [4].

فليس من السهل الفصل الحاسم بين هذه الأنواع الأدبية ، فهي جميعا تهدف الى نقل التجربة والتعبير عن رؤية المؤلف المكون للكون و الحياة و المجتمع ، فقد عبرت عن ضرورة التواصل بين اجيال الامة العربية الواحدة كما عبرت عن حتمية التعارف و التقارب و التعاون بين ابنائها ليكون بذلك لبنة اساسية لبناء وحدتهم و ازدهارهم.[5]

---

(1): ينظر: محمد صابر عبيد،السيرة الذاتية الشّعرية، ص134.
(2): نوال عبد الرحمان الشوابكة،أدب الرحلات الأندلسية،ص73.
(3) : ينظرمحمد صابرعبيد،السيرةالذاتية الشعرية،ص59
(4) أبراهيم السعافين ،اساليب التعبيرالادبي ،ص245
(5) عمر بن قينة ، اتجاهات الرحالين الجزائريين، ديوان المطبوعات الجامعية، (د ط)، الجزائر،1995 ص132.

فقد تكون الرحلة بسيطة لكنها دالة موحية ، فقد تفلت من أصابع مؤرخ ، أو تهمش في عين باحث اجتماعي ، أو تتراجع أو تندثر لدى رجال الإحصاء ، لكنها رصدت في عمق إنساني دافئ بقلم أديب سائح ، متفاعل بهدوء مع القضية التي يتحدث عنها بنسيج عام من مشاعره و قناعته الفكرية وأدب الرحلات يعتمد اعتمادا مباشرا و حيويا و حاسما على معطيات "العقل" في توفير المادة التي يحتاجها كتاب الرحلة لان في "العقل صناديق أمينة لحفظ شذرات من الماضي"(1) .

فهذه الصفة الوثيقة بالذهن و العقل هي التي تمنح الكاتب وعيا حادا و حساسية مرهفة و طاقة جديدة فالقضية في كتاب الرحلة ليست مجرد سرد حياتي تفصيلي للأحداث ، إنما هي عرض لرحلة حياة مفعمة بالثراء و التنوع ، فهو يعمل حواسه في التحليل و الكشف و الحدس و الرؤية فلا بد ان يكون له حسا قويا للملاحظة و الكشف ، فمثلما قال نزار قباني : "ان اصطدامي بالعالم و بالمدن و اللغات و الثقافات ،جعل ذاكرتي كذاكرة آلة تصوير لا تنسى شيئا و لا تهمل شيئا"(2)

(1) : غاستون باشلار،جماليات المكان ،المؤسسة الجامعية للنشر،ط6،بيروت،2006،ص108
(2) : نزار قباني،قصتي مع الشعر،منشورات نزار قباني، ط7،بيروت،1984،ص15

الفصل الأول / التعريف برحلة

"تحفة النظار و غرائب الأمصار و عجائب الأسفار"

1 – سيرة الرحالة.

2 – المسار الزمكاني للرحلة .

3 – القيم التاريخية و الفنية للرحلة.

- **1/ سيرة الرحالة :**
- **مولـــــــــده :**

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ،ولد بمدينة طنجة بالمغرب الأقصى يوم 17 رجب سنة703هجرية الموافق ليوم 24 فبراير سنة 1304 ميلادية و يعرف بابن بطوطة نشا ابن بطوطة في أسرة تنتسب إلى قبيلة "لواتة" ، تلقى تعليمه في علوم الدين والفقه واللغة وحفظ القران إلى أن بلغ سن العشرين ، ثم قرر أداء فريضة الحج، فخرج من مدينة طنجة يوم الخميس 2 رجب 725ه ،الموافق لسنة 1322م(1) ، فمن اجل الحج كانت رحلاته الثلاث التي وهبها من عمره نحو الثلاثين عاما .

فقد طاف خلالها معظم البلاد المسكونة من الكرة الأرضية و المعروفة في ذلك الوقت و قبل سبعة قرون ،ما عدا بعض البلدان الأوربية (2) ، و يضم كتابه الحافل المسمى "تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار"تفاصيل رحلته ، فعلى يد "ابن بطوطة" ،اخذ أدب الرحلات شكله النهائي المميز فكان كتابه أعظم اثر إسلامي في أدب الرحلات ، فقد حفظ لنا أخبار سياحته في الأرض على مدى ثلاثين سنة حيث سافر وهو راكبا الجمل دون شك (3) .

مؤلفاته :

لم يترك "ابن بطوطة" خلفه أي إنتاج أدبي ،سوى سرد لأسفاره على شكل كتاب عنوانه "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" الشهير بكتاب "رحلة ابن بطوطة"،و كان السلطان المغربي "أبو عنان فارس المريني" قد أعجب برحلاته و قصصه ، فطلب منه أن يمليها على كاتبه "محمد بن جزي الكلبي" و قد أطلق "ابن جزي" على الكتاب اسم "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"و هو عمل مشترك قام به "ابن بطوطة" و "ابن جزي" و صبغه كل منهما بطابعه الخاص.

فجعل "ابن بطوطة" في كتابه روحه التي تحب العجائب و الغرائب، وجعل فيه "ابن جزي" أسلوبه الذي لا يخلو من صنعة و تكلف و تنميق، فهو كتاب سلس الإنشاء، و فيه روايات حوادث نادرة ،فكهة، وتقاليد شاذة، وعادات عجيبة .

---

(1):ابن بطوطة ،رحلة ابن بطوطة،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،ط1،الجزائر،1989،ص2
(2):فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص488.
(3):المرجع نفسه ، ص489 .

"فأصبحت رحلة ابن بطوطة محل إعجاب الجميع، فآنتقدها بعضهم و أطراها البعض الأخر ،كما عمل عدد منهم على طبعها أو ترجمتها إلى اللغات البرتغالية و الفرنسية و الانجليزية، و كان رحالتنا يحسن اللغتين التركية و الفارسية" (1) ، "واستغرقت رحلته حوالي 28سنة "1325-1352 م " ومات في مراكش سنة 1377م ، وتلقبه جمعية كمبريدج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالة المسلمين، و في نابلس بفلسطين اليوم أسرة تدعى "بيت بطبوط" وتعرف ببيت المغربي ويقال أنها من نسل "ابن بطوطة"(2)

" مما تجدر الإشارة إليه أن المتحف الوطني بمالية عاصمة دولة المالديف" تتصدره لوحة ملونة طولها أكثر من متر للرحالة العربي المسلم "ابن بطوطة" وله جناح خاص به في المتحف يحمل اسمه و أخباره، بوصفه من ادخل الإسلام إلى جزر المالديف {1200 جزيرة} و تولى بها القضاء أربعة عشر شهرا"(3)

- **تشكيك الرحلة:**

ما إن بدا "ابن بطوطة " يروي أخبار رحلته في مسجد فاس سنة "854هجرية - 1353ميلادية" عن تلك العجائب التي شهدها أو سمعها، حتى بدأت شكوك كثير من الناس تحوم حول بعض ما قاله وبخاصة حول أخباره العجيبة عن الهند وشرقا أوروبا ، " وكان أول من شك في أقواله العلامة "عبد الرحمان ابن خلدون" الذي عاصره، وسمع عنه وعن بعض ما رواه من أنباء رحلته، كما كتب في مقدمته قائلا : "كان يحدث عن دولة صاحب الهند، ويأتي من أحواله بما يستغرب به السامعون....."و يضيف :"فتناجى الناس بتكذيبه"(4)

و قد رأى بعض الباحثين المهتمين برحلة "ابن بطوطة" أن الحاقدين عليه و كارهيه كانوا سببا في الحط من المكانة التي نالها عن السلطان"أبي عنان"حين أكرمه وخصص له راتبا و طلب منه الجلوس في المسجد ، و نجد أيضا من المشككين القدامى فيما جاء في رحلة "ابن بطوطة"مسجل الرحلة نفسها"ابن جزي" و "البيلوني" ملخص الرحلة وابن الخطيب ومن المحدثين نجد أيضا "شوقي ضيف" و "حسين فوزه" وغيرهم (5)

و لكن هناك من الباحثين من أنصفوه، و كيف لا ؟ ، فهو الرحالة الأمين ، وهو يمتاز عن غيره من الرحالين السابقين، انه لم يترك صغيرة و لا كبيرة إلا الم بها ، فقد ترك لنا صورا صادقة للحياة في العصر الذي عاش فيه، بعد أن قطع ما يقارب خمسة وسبعين ألف ميل بحثا عن المعلومة الجغرافية (6)

---

(1):سيف الدين الكاتب ،الرحالة محمد بن بطوطة،مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر،ط 1، لبنان 1982، ص7.
(2):المرجع نفسه ،ص17.
(3):فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص491.
(4):ابن بطوطة ،رحلة ابن بطوطة،ص3.
(5):ينظر، المرجع نفسه ،ص4.
(6):ينظر فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي ،ص 489.

وقد برر الباحث الروسي "كراتشوفسكي" انه لا يوجد أي باحث يود الغوص في تاريخ الهند الذهبي وآسيا الوسطى ، ويصفه بأنه يعد منافسا خطيرا لمعاصره الرحالة "ماركوبولو" البندقي فـ"ابن بطوطة" لديه إحساس ذاتي بظروف العالم الذي يصفه أكثر مما كان لدى زميله المذكور.

كما يرى الرحالة الألماني "سينتون" أن أي سائح أوروبي يمكنه أن يفخر بأنه قضى من الزمان ما قضاه "ابن بطوطة" في البحث لكشف المجهول، وتحمل مشاق السفر ما تحمله من صبر وشجاعة و ثبات ، فرغم تعرضه للمجهول مرات عديدة و كان على وشك أن يلاقي مصيره إعداما على يد احد الزعماء الطغاة، و كل هذا لم يحط من عزيمته.

" و يقول الأستاذ "محمود الشرقاوي " في دراسته التحليلية عن رحلة "ابن بطوطة" أن الكثير من العلماء و المؤرخين يشهدون لابن بطوطة بالصدق و الأمانة و قد سماه "بالرحالة الأمين" أو المستكشف الذي لا يعرف التعب كما جاء عنه في دائرة المعارف الدولية"(1)

فكان ابن بطوطة يتمتع بقدرته على تذكر ما رآه في رحلته فعلى الرغم من مرور السنوات الطويلة، فكان يسجل كل شيء رآه، سواء سره ذلك الشيء أو أحزنه،استفاد منه أو لم يستفد فبمطالعتنا للرحلة نجد رحالتنا العظيم عالما من أولئك العلماء الشموليين النادرين، فإذا تحدث في تقاليد الناس و عاداتهم قلنا انه عالم اجتماع فذ ..، و إذا تكلم في الصيرفة و المال قلنا انه خبير مصرفي متميز ..، وإذا وصف البلاد وغلاتها والأرض وتضاريسها قلنا انه هو الجغرافي الفريد.

ثم إن "ابن بطوطة" قبل ذلك و بعده فهو رجل علم فذ ، و كيف لا ؟ ، فقد حفظ القران صغيرا وتفقه على مذهب الإمام مالك ،وقرأ كتب السنة والعربية والتاريخ ، وتعلم في تطوافه وتجواله اللغات فجمع أسباب الشخصية العالمية ، فشخصيته متكاملة بحق ، فهي عظيمة، من أي جوانبها أتيتها وجدتها شامخة شموخ الجبال الرواسي ،ولعلني لا أبالغ إن زعمت أن رحالتنا كان واحدا من أولياء الله الصالحين، فهو كلما رأى قوما من الأتقياء تمنى أن يقضي معهم بقية حياته، انه لم يكن رحالة فحسب لقد كان رجلا فذا من رجال التاريخ.

(1): ينظر فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي ،ص490

2* / المسار الزّمكاني للرحلة:

الرحلة في طورها الأول :

بعد اطلاعنا لهذه المأثرة العظيمة التي خلفها "ابن بطوطة" بعد رحلة في آفاق الأرض استمرت نحو ثلاثين سنة. فرحالتنا في مستهل رحلته يبدو لنا شابا تقيا،نقيا،نشا في طاعة الله، وهذا ما يزيدنا انبهارا بهذه الشخصية الأخاذة في كل سطر وفي كلمة ، والذي يعنينا من هذا وذاك جميعا أن "ابن بطوطة" نشا شغوفا بالارتحال في أرجاء الأرض، ولعل أول باعث في رحلة "ابن بطوطة" كان الارتحال إلى الديار المقدسة بقصد الحج ، ثم تطور حتى غدا ضربا من حب الاستكشاف وفضول المعرفة.(1)

إذن فقد خرج "ابن بطوطة" من مسقط رأسه "طنجة" معتمدا حج بيت الله الحرام يوم الخميس الثاني من شهر رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة هجرية "725ه – 1325م". فجزم أمره على هجر الأحباب ، و فارق وطنه مفارقة الطيور للو كور كما قال في مستهل رحلته (2) .

وكان ارتحال "ابن بطوطة" في عهد السلطان "أبي سعيد المريني" فوصل إلى "تلمسان" إحدى مدن الجمهورية الجزائرية اليوم ، ثم "مليانة" ثم إلى "الجزائر" ثم "بجاية" التي أصيب الرحالة فيها بالحمى، فأشار عليه احد رفقائه بالإقامة فيها حتى يشفى.فأبى و قال لصاحبه:"إن قضى علي الله عز وجل بالموت فتكون وفاتي بالطريق ،و أنا قاصد ارض الحجاز"(3) ، وهذه كلمة تدل على مدى شفافية نفس هذا الرحالة المؤمن، و هي شفافية من ورائها حدة و إيمان الشاب

فانطلق إلى أن وصل إلى مدينة "تونس" ثم "صفاقس" حيث عقد على بنت لبعض أمناء تونس وتزوجها، و لم يلبث أن طلقها في "طرابلس" ثم تزوج من غيرها، ثم وصل "ابن بطوطة" إلى "الإسكندرية" في أول جمادى الأولى سنة "726ه - 1325م" و قد أقام فيها فترة التقى خلالها ببعض العلماء و الزهاد.

ومن "الإسكندرية" انتقل إلى "دمنهور" ثم إلى "ابيار" "فالمحلة الكبرى" "فدمياط" و أخيرا وصل إلى "القاهرة" التي سماها أم البلاد، و قرارة فرعون ذي الأوتاد، وصف لنا كل معالمها و آثارها بدقة عجيبة وأسلوب ممتع حتى يخيل ا لينا وكأننا حيال لوحة زيتية متناهية الدقة والجمال(4).

وانطلق الرحالة من "القاهرة" على طريق "الصعيد" قاصدا "الحجاز" غير أن سفره بالبحر إلى "جدة" تعذر فرجع أدراجه عازما على الحج من طريق "الشام"، فوصل إلى "غزة" ومنها إلى "القدس" فالرملة" فنابلس" فعكا من الديار الفلسطينية، ومنها سافر إلى "صور" "فصيدا" على الساحل اللبناني. ثم شرق إلى "طبرية" ثم رجع إلى "بيروت" "فطرابلس" و منها إلى "حمص" فـ"حماة" فـ"حلب" ومنها إلى "أنطاكية" ثم إلى "جبلة" فـ"اللاذقية" من الديار الشامية ثم سافر إلى "جبل لبنان" فزار "بعلبك" ، وفي رمضان من سنة 727ه وصل إلى "دمشق" التي عبر عن فرط اشتياقه لها.

---

(1):ينظر سيف الدين الكاتب ،الرحالة محمد بن بطوطة،ص22

(2):ينظر فؤاد قنديل ،أدب الرحلة في التراث العربي ،ص490.

(3):ينظر، ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،ص45.

(4):ينظر، سيف الدين الكاتب،الرحالة محمد بن بطوطة،ص29.

وفي شوال من السنة نفسها خرج الرحالة مع الركب الحجازي ،حيث نزلوا "ببصرى الشام" ثم ارتحل إلى "تبوك" "فالمدينة المنورة" ، و في المدينة زار "ابن بطوطة" مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم و صلى فيه بالروضة الكريمة بين القبر و المنبر الشريفين. و استلم القطعة الباقية من الجذع الذي حن إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فانصرف إلى رحله مسرورا بهذه النعمة العظمى، مستبشرا بنيل هذه المنة الكبرى، حامدا الله على البلوغ إلى معاهد رسوله الشريفة العظيمة، داعيا ألا يجعل ذلك آخر عهده به كما يقول في رحلته.(1)

ويفيض "ابن بطوطة" كعادته عند كل اثر إسلامي ، يفيض في وصف مسجد النبي الكريم ويستعرض تاريخه بدقة محكمة ، فيصل إلى مكة فيحدثنا عنها حديث الوصافة اليقظ، ويعرج على فضائل أهل مكة وعاداتهم ، ويذكر ما لقي من علمائها وما سمع من حكايات طريفة فيها ، وفي العشرين من ذي الحجة سنة ستة وعشرين وسبعمائة، خرج من مكة في ركب أهل العراق، حيث مر بأرض "نجد" ثم وصل إلى "القادسية" ومن ثم رحل فنزل مدينة "النجف الاشرف" حيث مشهد الإمام علي كرم الله وجهه و لم يفته أن يصف المشهد و الروضة أدق وصف.

ثم انتقل إلى "البصرة" التي شاهد فيها من عجائب الخلق و البناء، ثم ركب من ساحلها إلى "الابلة" "فعبادان" التي فيها مساجد كثيرة و متعبدات و رباطات للصالحين كما قال .وفي "عبادان" لقي عابدا رأى من أحواله ما دفعه القول إلى الإقامة معه بقية عمره ، ثم سافر "ابن بطوطة" متوغلا في بلاد فارس ، فزار "تستر" و "أصفهان" ثم "شيراز" ثم رجع منها إلى "الكرفة" حيث سافر منها إلى "كربلاء" "فبغداد" ثم إلى "تكريت" "فالموصل" و من "الموصل" رحل إلى "البلاد التركية" و لم يتوغل في تركيا حيث رجع إلى "الموصل" "فبغداد".

وقد وجد ركب الحج في أهبة الرحيل، فخرج معهم إلى "الحجاز" ليحج للمرة الثانية، وبعد الفراغ من حجه سنة "728ه - 1327م" أقام ابن بطوطة بمكة مجاورا سنة تسع وعشرين وسبعمائة "729ه" حيث حج فيها ثالثة و جاور بها سنة "730ه" (2)

الرحلة في طورها الثاني :

إن كثيرا من عبارات "ابن بطوطة" في رحلته، تشير بان الديار المقدسة كانت حلمه الأول ، وانه لم يكن ينوي متابعة الرحلة في أطراف الأرض، وربما كان قصده أن يجاور بمكة أو بالمدينة ليقضي بقية عمره في تلك الرحاب الطاهرة.(3) ، لكن هناك أمورا طرأت عليه أثناء ذلك، فغيرت مجرى حياته، فرفعته من صفة الرجال العاديين إلى الصف الأول من عباقرة التاريخ الخالدين حتى أن دائرة المعارف الدولية وصفته بأنه قام بأطول رحلة استكشاف في التاريخ الإنساني.

فما الذي غير وجهة ابن بطوطة يا ترى؟ وما الذي دفعه إلى الرحلة في أطراف الأرض؟ والإصرار الصادق والصبر الدؤوب رغم المخاطر الكثيرة التي اعترضت طريقه غير مرة، حتى اشرف على الهلاك المحقق؟؟! . إنها استجابة للإيمان الخفي الذي ألقاه في روع "ابن بطوطة" ذلك الزاهد الاسكندري ، الذي ذكر له انه سيزور "الهند" و "السند" و "الصين"،و انه سيلقى إخوة لهذا العابد الزاهد هنالك و ليس المراد إخوة نسب بل إخوة نهج و طريقة (4) .

(1):ينظر، ابن بطوطة،رحلة ابن بطوطة،ص46.
(2):ينظر،المرجع نفسه،ص48.
(3):ينظر ،سيف الدين الكاتب،الرحالة محمد ابن بطوطة ،ص42.
(4):ينظر ،المرجع نفسه،ص43.

لقد كان "ابن بطوطة" قوي الاعتقاد بكرامات الأولياء الصالحين فكان لذلك الأثر العظيم في تغيير وجهته و منهج حياته ، و من هنا فانه لا يغفل عن إيراد كل صغيرة تتعلق بما جرى له في رحلته فالرحلة في طورها الثاني و التي استغرقت قرابة ربع قرن من الزمان ما هي إلا استجابة لإيمانه الخفي ، و "ابن بطوطة" يعترف هنا قائلا :"و لم يكن حينئذ بخاطري التوغل في البلاد القاصية من الهند و الصين، فعجبت من قوله،وألقى في روعي التوجه إلى تلك البلاد، ولم أزل أجول حتى لقيت الثلاثة الذين ذكرهم وأبلغتهم سلامه".(1)

فرحل "ابن بطوطة" إلى الهند وجزر الهند الشرقية ، وقد أقام فيها أمدا غير قصير لكثرة ما صادفه فيها من النفع الدنيوي والأخروي، وقد تزوج هناك غير مرة، وعين قاضيا، وكان له دور بارز في إقرار المعروف و إنكار المنكر.(2) ، فكان "ابن بطوطة" يرى كل يوم عجيبة من تلك العجائب، وكان ذلك كافيا ليجدد همته في الرحلة و السياحة في الأرض ، فقد حاول تغيير بعض العادات والتقاليد المنكرة، و هو يبدو لنا صارما لا يخاف في الحق لومة لائم.(3)

و قد ذكر لنا ابن بطوطة، انه أول ما غير من عوائد السوء عند ولايته القضاء بجزائر الصين، هو مبادرة الرجال إلى إقامة الصلوات و إنزال اشد العقاب على تارك الصلاة، و تغيير عادة مكث المطلقات بديار المطلقين ، "و يواصل رحلته بحرا إلى جزيرة "القرم" ثم ارتحل في بلاد "القوقاز" و "البلغار" ثم إلى "خوازم" و "بخارى" و واصل رحلته الى "أفغانستان" و أبحر مع الوفد الى "قندهار" ثم مر وارتحل الى "سومطرة" و"ظفار" و "بلاد فارس" و "العراق" و"الشام" و"مصر" (4)

وعن طريق عيذاب ، ذهب للحج مرة رابعة و عاد إلى بلاده عبر "مصر" و "تونس" و"الجزائر" و "مراكش" و وصل إلى "فاس" في شعبان سنة 750 هجرية ، وقرر أن يزور "الأندلس" ثم عاد إلى "فاس" و زار "بلاد السودان الغربي" و توغل في "افريقية الوسطى" ثم عاد إلى "فاس" حيث أمضى ما تبقى من حياته ، فكانت رحلة "ابن بطوطة" من أهم الرحلات وتعتبر من أطرف القصص رغم ما تحتويه من غرائب العادات ، فتسجيل عادات الشعوب والأقوام و تقاليدهم ، أفاد كثيرا في معرفة تلك العادات البعيدة عن الشعوب، كما أفاد في معرفة تاريخ تلك البلاد وجغرافيتها.

(1):ابن بطوطة ،رحلة ابن بطوطة،ص80
(2):فؤاد قنديل، أدب الرحلة في التراث العربي، ص503.
(3):ينظر،سيف الدين الكاتب،الرحالة محمد ابن بطوطة.ص44.
(4):إبراهيم السعا فين، أساليب التعبير الأدبي، ص241.

* 3/ القيم التاريخية و الفنية للرحلة:

القيم التاريخية:

لقد جاءت كتب الرحلات بمادة غنية زاخرة بالوصف والأحاديث و الأخبار، و سجلا وافيا عن الكثير مما تحويه تلك الرحلات من جوانب معرفية، ومدونات أعطت الجغرافيا والاقتصاد والتاريخ والعمران و الأحوال الثقافية والاجتماعية والدينية بأوثق الصلة ، فكان الرحالة يطرحون القضايا والمشكلات التي شهدتها تلك العصور، فكانوا بمثابة نقاد كيف لا؟ ، وهم يحاولون الإصلاح أحيانا، والنقد أحيانا أخرى، "فابن بطوطة" مثلا يمثل لنا ذلك المواطن الإسلامي الذي طاف أرجاء العالم الإسلامي.

"وقد قدم لنا في رحلته الكثير من المعلومات التاريخية، وحقائق مهمة عن مختلف العلوم والمعارف ، واعتبرت رحلته وثيقة تاريخية وجغرافية وفكرية وسياسية وإدارية واقتصادية ودينية واجتماعية ، أخرجتنا من الظلمات إلى النور فهي دليل و حصن منيع لكل مسافر"(1)

"ولعل المصادر التي استقى من خلالها أدب الرحلات مادته، أدت دورا بارزا في تحديد تاريخ هذه الرحلات ، { العصر الذي تمت و كتبت فيه ، صاحبها الذي عاشها و دونها } فأمدنا بنتائج تجاربه و خبراته التي لا يستطيع تحصيلها و هو مكتوف الأيدي في بيته أو بلده ، أو الاستماع فقط ففي الحركة بركة ، فيجب علينا التنقل والتحرك لكسب المعارف و العلوم" (2)

فقد كانت الرحلات عونا للمؤرخين و الجغرافيين و علماء الاجتماع، و سندا لهم لتأكيد الوقائع والأحداث و أحوال المجتمعات في العصور التي عاشها الرحالة لدقة ملاحظاتهم ووصفهم وأمانتهم العلمية ، فقد حفلت الرحلات بما شهدته المدن الإسلامية من نشاط أوسع للمجالين الديني والعلمي، وذلك لكثرة مجالس العبادة و حلقات العلم التي كانت تعقد في المساجد والزوايا والمدارس وغيرها ، فكان بعض الرحالة ومن أهمهم رحالتنا ، كانوا يهتمون بزيارة العلماء وحضور مناقشاتهم العلمية و مطارحاتهم الدينية.

و كانوا يترددون على مجالس الشيوخ و العلماء للإفادة منهم و الوقوف إلى ما عندهم من علوم ومعارف ، فقد يجمع الرحالة حصيلة من الرواية، و يضمنون رحلاتهم أسماء الكثير من المصنفات المختلفة و النتاج العلمي والفكري في الفقه و الحديث و الأدب و الحكمة واللغة .(3)

فقد كانت الرحلات عونا للمؤرخين و الجغرافيين و علماء الاجتماع، و سندا لهم لتأكيد الوقائع والأحداث و أحوال المجتمعات في العصور التي عاشها الرحالة لدقة ملاحظاتهم و وصفهم وأمانتهم العلمية ، فقد حفلت الرحلات بما شهدته المدن الإسلامية من نشاط أوسع للمجالين الديني و العلمي، وذلك لكثرة مجالس العبادة و حلقات العلم التي كانت تعقد في المساجد والزوايا والمدارس و غيرها، فكان بعض الرحالة ومن أهمهم رحالتنا، كانوا يهتمون بزيارة العلماء وحضور مناقشاتهم العلمية و مطارحاتهم الدينية.

(1):حسين حسني محمود، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، لبنان، ط2، 1983، ص78
(2):نوال عبد الرحمان الشوابكة،أدب الرحلات الأندلسية و المغربية، ص78.
(3):ينظر إبراهيم السعافين،أساليب التعبير الأدبي، ص445

ولم تغفل كتب الرحلات عن الدور الفعال الذي قامت به المراكز الدينية، "كمكة المكرمة" و"المدينة المنورة" و "بيت المقدس" في تكوين هذه الحصيلة الثقافية و العلمية. فكانت ملتقى للعلماء و الأدباء فاستقطبت بذلك جل محاور العلماء و الأدباء الذين ساهموا بمجالسهم العلمية في سيرورة و تطور الحركة العلمية و الفكرية. (1)

فمكة هي حلقة الوصل بين المشرق و المغرب الإسلامي ، إذا فهي مبدأ و منتهى الحركة العلمية . والمسجد الحرام كان بمثابة جامعة تتوافد عليها وفود العلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي وبذلك تنوعت العلوم بتنوع العلماء من فقه و حديث وتفسير و تاريخ وغيرها ، فلما زار ابن بطوطة بيت المقدس ، ذكر أن بيت المقدس كان عامرا بالعلماء الوافدين إليه من مختلف الأقطار الإسلامية. كما وصف لنا النهضة العلمية بمصر فلم تكن هذه النهضة مقصورة على مدينة القاهرة بل تعدتها إلى الإسكندرية و بلاد الشام .

ويذكر لنا "ابن بطوطة" جامع دمشق و حلقات التدريس فيه فيقول : "و به جماعة من المعلمين لكتاب الله يستند كل واحد منهم إلى سارية....يلقن الصبيان و يقرئهم و هم لا يكتبون القران في الألواح تنزيها لكتاب الله تعالى، ومعلم الخط غير معلم القران"(3) ، كما ساهمت الرحلة مساهمة كبيرة في انتشار الكتب وجلبها من المشرق إلى المغرب، فكان الاهتمام بتأسيس المكتبات وخزائن الكتب في القصور والبيوت."فالسلطان "أبو عنان" كان قد زود مدينة "فاس" بأكبر خزانة للمطالعة عرفتها العاصمة في عصر بني يزيد" (4)

كما أشار "ابن جبير" إلى أن المسجد النبوي كان يضم مكتبة كبيرة احتوت على خزانتين كبيرتين من الكتب وبعض المصاحف الموقوفة على المسجد، فيتبين لنا هنا إذا أن انتشار المؤسسات التعليمية و دور الكتب، و تعدد أنواع العلوم كانت من دوافع الرحالين للاتصال بكبار العلماء والأخذ منهم.(5)

---

(1):ينظر نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية ص79

(2):ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة ، ص87.

(3):نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية والمغربية ، ص94.

(4):ينظر، ابن جبير، رحلة ابن جبير، سلسلة العلوم الإنسانية ، (د.ط)،الجزائر، 1988، ص282.

" و من قيمة الرحلة التاريخية أيضا أن العرب عندما وحدوا البلدان التي فتحوها كانوا بحاجة إلى معرفتها إداريا و ماليا و ضريبيا و كانوا بحاجة إلى معرفة الطرق و المسالك التي تصل أقاليمهم، و كتاب "المسالك والممالك" قد ألف لهذا الغرض" (1)

فهناك رحلات أملتها دوافع سياسية أو مهام رسمية أو رغبة في الاستطلاع ، كرحلة "سلام الترجمان" الذي كلف من الخليفة "الواثق" بالسفر إلى حصون القوقاز و قلاع الصين ليأتيه بخبر سور الصين العظيم، و قد قيل أن "سلاما" كان يتقن ثلاثين لسانا.(2) ، و تعد رحلة "البغدادي" بمثابة وثيقة علمية ، تصور حالة مصر السياسية و العلمية والاجتماعية في القرن السادس الهجري. وقد امتاز " البغدادي" بالدقة العلمية في تصوير مشاهداته لمصر، طبيعتها ، آثارها عاداتها، مطاعم الناس و أزيائهم ..

فكان هدف الرحالة المسلمين الكشف الجغرافي والتاريخي ، و معرفة الأقاليم و من هؤلاء "عبد الله المقدسي" صاحب كتاب " أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ، وكذلك كان هدف بعض الرحالة صقل المنهج وتأكيد المشاهدة والمعاينة و التأكد من الوقائع ، ومن هؤلاء "الإدريسي" صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق".

"فقد أمدته رحلته في أجزاء من أوروبا و أقاليم متعددة من البلدان الإسلامية، و تمكن من صناعة الخرائط الدقيقة ، مما دفع ببعض المؤرخين إلى أن يعده من أعظم علماء الجغرافيا في العصور الوسطى، فقد أمدته رحلته بنبع فياض من المعرفة الجغرافية" (3) ، و ينقل لنا رحالتنا العظيم "ابن بطوطة" صورا دقيقة للمجتمعات الإسلامية، فيحدثنا عن عادات الشعوب و تقاليدهم ونظمهم الاجتماعية ، وطباعهم وأخلاقهم ومظاهر احتفالاتهم ، ويصف المدن ويهتم بالمرافق ، كالأسوار والحصون والمعابد ومزارات الصالحين والأولياء.

كما أن الشيء الذي شد انتباهنا ، هو أن الرحلة تكاد تخلوا من الحديث عن النساء إلا ما جاء عرضا. فعدت رحلة "ابن بطوطة" من المصادر الرئيسية للجغرافيين والمؤرخين والاجتماعيين في القرن الثامن هجري ، فقد صور لنا حركة المجتمع في أدق تفاصيلها.

لقد عني "ابن بطوطة" بتضاريس البلاد ومناخها وعمرانها وحيواناتها وطيورها وحالتها الاقتصادية ، كما عني بتاريخ السلاطين و حروبهم وانتصاراتهم أو هزائمهم ، كما اهتم بالشعائر الدينية والطقوس الشعبية ، كما أتيح له أن يدرس الحياة الاجتماعية عن قرب بعد أن تزوج أكثر من مرة في الهند فقد صور المرأة سلطانة وسيدة وخادمة.

"فمن المؤكد هنا أن "ابن بطوطة" لم يسجل كل ما رأى و ما سمع و إنما كان ينتقي و ينتخب ويختار، فأراد أن يؤدي رسالة من مختاراته وهي تصوير وحدة العالم الإسلامي والرغبة في توحيده في ظل الصراعات القائمة"(4) ، و قد أملى "ابن بطوطة" رحلته على الوزير "أبي عبد الله بن جزي" فقام الثاني وكان أديبا مترسلا بتنقيح الرحلة و الربط بين أجزائها التي أجاد فيها وصف البلاد و العباد، فمؤلف الرحلة هنا يحول كل انتباها ته و انشغالاته إلى صور فنية يسعى إلى نقلها للمتلقي (5)

(1):إبراهيم السعافين، أساليب التعبير الأدبي،ص222.
(2):المرجع نفسه،ص223.
(3):المرجع نفسه ، ص 227
(4):إبراهيم السعافين، أساليب التعبير الأدبي، ص242.
(5):ينظر المرجع نفسه، ص24

القيم الفنية للرحلة :

يمكننا أن ندرس فن الرحلات بوصفها فنا سرديا، ذا طابع أدبي. كيف ذلك؟ إذا تساءلنا كيف بدأت الرحلة؟ و كيف انتهت؟ وعناصر تلك البداية والنهاية، حتما يحكمها الزمان و المكان، واللغة والشخوص بمستوياتهم المختلفة الاجتماعية والثقافية، فانطباعات تلك الشخصيات كثيرا ما تكون شيقة و تقرب الرحلة من الحكاية.(1) .

"و لقد عيب على "ابن بطوطة" عدم ترتيبه لأسفاره ترتيبا يتسق و التسلسل الزمني للأحداث وافتقار الرحلة إلى عنصرين هما : الأمانة العلمية و النقد المحلل، و لكن نعتقد عكس ذلك فقد تميز رحالتنا بالأمانة العلمية، فالأماكن التي وصفها أكدها الرحالة الذين جابوا بعده"(2) ، غير أن اعتماده على الذاكرة في رواية الرحلة قد أدى إلى هذه الانطباعات و إلى خلل في بعض أجزاء الرحلة ، "فابن بطوطة" لم يكن مجرد سائح عابر بل كان أسلوبه ينحو منحيين: المنحى العلمي والمنحى الصوفي.

- فأما المنحى العلمي فنظرته إلى كل شيء نظرة علمية دقيقة وهذا ما يتبين لنا رغبته بالمعرفة الصحيحة و الخبر الدقيق.
- وأما المنحى الصوفي فانطلاقا من إيمانه العميق فقد وصف لنا كرامة الأولياء الصوفيين وهذا دليل على تعلقه الشديد بدينه و بالرجال الصالحين المتصوفين في عصره.

فقد حفلت رحلة "ابن بطوطة" بالكثير من المشاهدات و الأحداث و القصص و انتقى منها ما ثبت في ذاكرته ، كما لاحظنا أيضا في منهجه تعقيبه و تعليقه على أصل عدد من الأعلام و المواقع فكانت رحلته أشبه بالفهارس العلمية .
فكانت لرحلته قيمة أدبية تظهر جليا في موادها من أساليب ترقى بها إلى عالم الأدب و الخيال الفني ، لهذا فان أهم ما يميزه في أسلوبه اعتماده بالخصوص على السرد المشوق، حيث يمدنا بمتعة ذهنية فيلتزم الرحالة محاور البناء الفني من مقدمة، و عرض و خاتمة.

فهل التزم الرحالة بالمعيار الفني أو البناء الفني للرحلة؟ أي كيف جاءت البداية؟ و كيف استطاع الكاتب الوصول إلى النهاية؟ وهل وفق في ذلك ؟ وهل كانت النهاية نهاية فنية؟ أم أنها نهاية تقليدية طبيعية؟

نرى هنا أن لكل كاتب في كتابة رحلته طريقته الخاصة، وله الحرية المطلقة في ذلك، خاصة في وصف الأماكن وتدوين الوقائع والأحداث في كل رحلة، وذكر الزمن فهو عنصر مهم في كل رحلة من الرحلات.(3) ، فالرحلة صالحة أن تكون سجلا أمينا للأحداث التي وجدت في تلك الحقبة، والصراعات والخلافات التي وقعت حول قضايا مختلفة خاصة ما يتصل بالدين والمجتمع والحياة الفكرية بوجه عام لأنها تصور بصدق المناخ الثقافي الذي كان سائدا في ذلك الحين.

(1):ينظر، نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية ، و المغربية،ص 261.
(2):إبراهيم السعافين، أساليب التعبير الأدبي،ص 244.
(3):ينظر، سيد حامد السياج، مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا، دار غريب ، (د.ط)، القاهرة، (د.ت)، ص 83

حفلت معظم الرحلات بشكل جلي الخطاب المركزي لها وهو الخطاب الديني، فمعظم الرحالة أصحاب ثقافة دينية انعكست في أسلوبهم فلم يكن الخطاب الديني مستقلا عن الخطاب التاريخي أو الاجتماعي، ويمكن إدراك ذلك من حشد الرحالة للاماكن المقدسة ، فاستطاعت هذه الأوصاف أن تعبر عن انطباعات الرحالة، وترسم صورة لشخصيتهم ، فللوصف أبعاد جمالية بما يقدمه من رسم لملامح الشخصيات أو اضاءات عن المواقع والأحداث، فيضفي الرحالة على رحلتهم من مشاعرهم وعواطفهم ويجعلونها تنبض بالحياة والحركة،فقدمت الرحلة بذلك المتعة والتشويق للقارئ(1) .

فيتضح من خلال وصف الرحالة الصدق غالبا و الدقة و الشمول " وقد تتشابه أوصاف بعض الأماكن لدى بعض الرحالة مثل وصف "بيت المقدس" فعند "ابن بطوطة" وصفه مثلا بقوله :"وله أبواب كثيرة في جهاته الثلاث، فأما الجهة القبلية منه فلا اعلم منها إلا بابا واحدا، وهو الذي يدخله الإمام"(2) .

أما الشخصيات في الرحلة فهي شخصيات متعددة الأحوال والمستويات الاجتماعية والفكرية والصفات والطبقات { الملوك – الوزراء – القضاة – العلماء – التجار – السحرة - المغنون}. ومن الشخصيات أيضا: الحيوانات والنباتات وبهذا التنوع تتنوع الأحداث. ولعل الشخصية التي اعتمدتها الرحلات في المقام الأول شخصية الرحالة الوصاف اللغوي ، المهتم باللغات واللهجات وهي شخصية ربطت بين أجزاء العمل الواحد، بحيث دارت الأحداث جميعها في فلكه، حيث يكفل الوحدة الموضوعية للعمل ، و يضفي عليه السمة الفنية.

كما نلحظ في السمة الفنية أيضا اعتماد رحالتنا "ابن بطوطة" على استخدامه الحوار استخداما بارعا،فجاءت أحداث حكاياته متحركة ، نابضة بالحياة ، و لعل هذا ما جعل أسلوبه اقرب إلى أسلوب الأديب القصاص ،إضافة إلى انه لم يقصد أن يؤرخ الأحداث التاريخية أو الجغرافية بل هدفه إمتاع المتلقي.(3) .

كما أفرزت رحلة "ابن بطوطة" شكلا من الأشكال القصصية التي تقوم على الأسطورة و منها قصص الحيوان و النبات ، فقد انطق "ابن بطوطة" الجرادة لتعبر عن الظلم في البلاد و هذا ما يخالف المنطق و العقل ! فهل بعث رحالتنا الحياة في الجراد لتنطق؟ ، فحضور البعد الأسطوري هنا لا يعني عدم مصداقية الرحلة، فهم يستندون إلى الواقع أحيانا و يجنحون إلى الخيال أحيانا أخرى بقصد المتعة التي تسمو بها إلى مرتبة الأدب الفني الرفيع.إلا أنها تحتاج إلى دراسة مستفيضة لمعرفة الدواعي و الأسباب التي دفعت الرحالة لذكرها.(4)

"فالرحلة سرد ، إنها انتقال حكاية سارد من مكان إلى مكان ، إنها حركة تفاعل الزمان بالمكان والمكان بالزمان"(5) "فابن بطوطة" هنا يحدثنا عن تجربته الشخصية،و هذه التجربة تنهض على مجموعة أفكار لا تتبلور إلا من خلال جهد كبير، فلا توجد ولادة تلقائية للأفكار،فالجهد و العناء يوفر للرحالة قدرة على وعيها .

(1): ينظر، نوال عبد الرحمان الشوابكة، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ص284 .
(2):ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص60.
(3):ينظر،نوال عبد الرحمان الشوابكة،أدب الرحلات الأندلسية،ص308
(4): ينظر،نوال عبد الرحمان الشوابكة،أدب الرحلات الأندلسية ،ص315.
(5):سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا، ص30.

"فابن بطوطة" هنا يقترب كثيرا من فن السيرة الذاتية، فهو يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته حديث النفس الساذج لا تدوينا للمآثر والمفاخر(1) ولكن هل سيعطي لنا كل تفاصيل رحلته؟ لا أظن ذلك فمهما أعطى من تفصيلات فهناك تفصيلات تبقى في منطقة الظل دائما.فليس ثمة في أي بلد من بلدان العالم، ما هو أبشع واخطر من حديث المرء عن نفسه وترحاله ، وأعماله الشخصية فان رضي عن نفسه وصفوه بالمغرور؟ وإن تحدث بتواضع قيل انه يتصنع التواضع ؟ ويوجد حتى من يشككون في أقواله ويكذبونه مثلما حصل مع رحالتنا ، فرحالتنا العظيم عندما غامر بوضع رحلته الذاتية بين أيدينا ، فانه فضلا على الخدمة الأدبية التي قدمها في تكريس نموذج إبداعي نثري جديد ، فانه يلهب حماسنا كمتلقين لاستعراض سيرتنا الذاتية تحقيقا لمتعة ذاتية استثنائية.

كما لا يمكننا اعتبار الرحلة سردا ما لم تتوفر فيها عناصر بنائية حتى تتحقق سرديتها ، ولذلك سميت بالقصدية أي على الرحالة أن تكون له قصدية أو نية السفر لانتقاله من مكان إلى آخر ومن جهة أخرى قصدية الكتابة عن السفر ، كما يجب على الرحالة أن يشير إلى أهدافها بشكل مباشر أو غير مباشر، كما يجب وجود أو توفر السارد الذي يتكون أو يتألف من : المؤلف أو المتكلم أو السارد الحاكي وهو الشخصية المركزية والممارسة للحدث. فالمؤلف يعلن عن اسمه في بداية الرحلة بل يعلن عن وجوده دوما(2).

هكذا يصبح الحديث المخصص عن المكان الذي مر به الرحالة ، مسرحا يستدعي فيه الرحالة معلوماته وشواهده كما أن هناك عناصر مشتركة في الأنماط السردية عامة، متميزة من حيث التوظيف و التنوع الجمالي وهي : المرسل و المرسل إليه، و الرسالة. أي سرد و سارد و مسرود له ، فرحلة " ابن بطوطة " هي سيرة ذاتية تصور حياته على ما يزيد عن ربع قرن قضاها في الحركة و الانتقال في مختلف البلدان، فرحلة "ابن بطوطة" جاءت ممزوجة بشيء من التاريخ والاجتماع و البيئة، كما حوت أيضا على مذكرات تمس الوقائع والأحداث الاجتماعية(3)

(1):ينظر،محمد صابر عبيد،السيرة الذاتية الشعرية،ص137.
(2):ينظر، سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديما و حديثا، ص30.
(3):ينظر،نوال عبد الرحمان الشوابكة،أدب الرحلات الأندلسية و لمغربية، ص247 .

RUSSIA
EUROPE
NORTH SEA
BALTIC SEA
BLACK SEA
CASPIAN SEA
ARAL SEA
MEDITERRANEAN SEA
TURKESTAN
GOBI DESERT
CHINA
PERSIA
TIBET
HIMALAYAS
SAHARA DESERT
MALI
ARABIA
INDIA
ARABIAN SEA
PACIFIC OCEAN
SOUTH CHINA SEA
KHMER EMPIRE
CHAMPA
CEYLON
MALDIVE ISLANDS
SUMATRA
SWAHILI CITY-STATES
GREAT ZIMBABWE
ATLANTIC OCEAN
INDIAN OCEAN
Marco Polo's travels
Ibn Battuta's travels

(1) الجماليات اللغوية .

(2) جماليات الزمان و المكان .

(3) جماليات التنويع الثقافي و الإجتماعي

***1) الجماليات اللغوية و السياقية للرحلة :**

1 – الجماليات اللغوية :

لقد تأثر الأندلسيين و المغاربة بأسلوب الكتابة الأدبية الشرقية ، و من جانب أخر فان غنى موضوعات الرحلات ، قد جعل معظم أصحابها يؤثرون السهل المؤدي للغرض بدلا من التكلف و التصنع ولعل التجارب التي مر بها معظم الرحالة ، كان لها دور في نضج الأسلوب العلمي السليم في كتاباتهم ، فكانوا حريصين اشد الحرص على تدوين ملاحظاتهم فقدمت رحلاتهم مادة علمية متنوعة الموضوعات مما أدى إلى ازدهار أدب الرحلة .

كما توفر لنصوص الرحلات الانسجام مع الذوق ، و حسن الوقع على الاذن فكانت نماذج حالفها التوفيق و النجاح ، واستطعنا بفضلها ان نحكم على ثقافة القرن الماضي ، وكذا مستوى اللغة العربية .

فجاءت ألفاظ معظم الرحالة سهلة وواضحة ، وبعيدة عن التعقيد والغرابة فكانوا يحرصون وبالأخص رحالتنا على ان يكون كلامه منسقا ، يعتمد على السجع غير المكلف يتسم بالعفوية أحيانا ، وهذا لا يؤثر في الأفكار ، بل أضفى عليها رونقا ، و قيمة فاتسم اسلوبه بالبساطة خال من التكلف يميل الى لغة المحادثة العادية ، واما ما يمتاز به ابن بطوطة عن غيره من الرحالة ، بانه لم يترك صغيرة ولا كبيرة الا اهتم بها .

وفصل الحديث عنها ، وكان من اشد الرحالة عناية بالتحدث عن الحالة الاجتماعية والعادات و التقاليد ، فامتاز أسلوبه أو اسلوب كاتب رحلته بالبساطة و الوضوح و دقة الملاحظات إلا ما ورد في مقدمة الرحلة و خاتمتها ، و هذا عائد الى ابن جزي (1) ، فابن جزي أدى دورا هاما في خلق عمل فني ، متماسك لرحلة ابن بطوطة ، ليظهر براعته فهو كاتب أديب في حاشية السلطان أبي عنان.

و من اوسع الرحالين العرب فكرا و اشملهم ملاحظات وأجملهم أسلوبا و انقاهم تعبيرا واعمقهم استنتاجا و إدراكا ، فهو لم يغفل الحقائق و المعلومات بل امتاز بالدقة و الشمول في هذا الجانب فهو متمكن من اللغة و الادب ، فاتسم اسلوبه في الغالب بالجزالة و القوة مع الوضوح ، غير ان روح ابن بطوطة المثالية و رؤيته للحياة و الكون ووعيه بالاحداث ظل مثلا في الرحلة و كنا نتمنى ان تبقى رحلة ابن بطوطة في صورتها الاولى و لغتها النابضة بالحياة البعيدة عن التكلف و الصياغة الزائفة و بناء الجمل المصنوعة التي ادخلها ابن جزي في نسيج هذه الرحلة (2) .

فدلالة فعل السفر هو أمر إرادي ، يتم بالجهد الشخصي ، فيتعلق الإنسان بالقدرة الالهية دون حول له و ولو بقيت الرحلة في صورتها الاولى ، قد تكشف عن مستويات اللغة في القرن الثامن الهجر و ما دخلها من لحن و ما اصابها من تطور دلالي ، و ما دخلها من كلمات دخيلة جاءت من الشعوب التي اتصل بها "ابن بطوطة" ، فالرحلة كانت زاخرة باسماء الاماكن و الوزراء.

(1)نوال عبد الرحمان الشوابكة ادب الرحلات الاندلسية والمغربية ص 268.
(2)ابراهيم السعافين اساليب التعبير الادبي ص 243.

فـ"إبن بطوطة" أراد التوصل إلى القيام بمقارنة بين العادات في البلدان، فيما يشتركون وفيم يختلفون؟ اي العادات جلبت انتباهه؟ و أيها احسن و ذات أهمية ؟ و هل لها تأثير على ذلك المجتمع في الحفاظ على مثل هاته العادات و التمسك بها؟ .

لكما نوع رحالتنا في استخدامه للضمائر المتصلة بتلك الافعال حيث وردت افعال اسندهاالرحالة الى ضمير الجمع و اخرى الى ضمير المتكلم المفرد و منها : "شاهدنا تملكتني" . الامر اللذي اكسب الافعال حيوية و حركة تنسجم مع فعل الرحلة (1) . اما بالنسبة لجمل الرحالة فهي سهلة مالوفة ، و دقيقة طريفة طرافة الكاتب، ركزت على الافعال اكثر من الاسماء ، لتتوافق هذه الاخيرة مع طبيعة الرحلة.

فامتاز الأسلوب بالتلقائية و وضوح المعاني و لا نغفل عن استعماله الاسماء في بعض الاحيان كاسماء المدن " دمشق ، بغداد ، القاهرة " كما حفلت الرحلة بالجمل الاعتراضية وبخاصة الدعائية و تكرار هذه الجمل لم يؤثر سلبا في اسلوب الرحلة فعناية الرحالة بها يعود الى اعتبارها من الاصول التي يعتمدها التعبير الادبي في العصور كافة و من امثلة ذلك : إستقبلنا البلدة "حرسها الله " ومنهم من يزعم أن مقصده إفريقيا "حماها الله .. " .

كما يبدو لنا واضحا الأثر الديني في أسلوب الرحالة ، فقد كان للقرآن الكريم و الحديث الشريف أساسا لثقافتهم و مصدر بلاغتهم ، ولا غرابة في ذلك ؟ فالعامل الديني كان من الدوافع الهامة للرحلات مثلما قال " إبن بطوطة " : " فتحت المصحف أنظر فيه فكان في أول الصفح .. " و لينصرنا الله من ينصره " سورة الحج ، فاستبشرت بذلك " (2) .

فما يرتبط برحلات من ذكر للأماكن و الأشخاص و الأحداث و الأوصاف ، يصبح موضوعا للشعر فالتأثر بالقرآن الكريم يقصد به تأكيد المعاني في العبارات والجمل ، أما الشعر فله في معظم الرحلات وجود ملحوظ ، لهذا يعدت الرحلات من المصادر الهامة التي حفظت الكثير من التصوص الشعرية من الضياع ، فقد كان بعض الرحالة شعراء مثل: " العبدري " و بعضهم يقوله بشكل بسيط مثل رحالتنا "إبن بطوطة " فالعلاقة بين الشعر والرحلات هي علاقة تلاحم و ترابط .

فالرحالة يدون ملاحظاته في وصف مشاهداته ، فكأنه يقدم لنا مادة علمية متنوعة الموضوعات ، مما ترتب عليه إزدهار فن الرحلة ، ووفر لنصوص الرحلات الإنسجام مع الذوق و الطبع العربي الأصيل و حسن الوقع على الإذن فكانت نموذج حالفها التوفيق والنجاح . حيث يصف الشاعر الكثير من أحداث رحلته ، فلولا الرحلة ما و صف الرحالة مشاعرهم و أشواقهم و حنينهم و المصاعب التي تواجههم ، فهاهو يحي إبن الحكم الغزال يسجل شعره عن الأخطار التي واجهته :

و تولتنا ريـــــــــاح من دبور و شمال
فرأينا الموت رأي ال عين حالا بعد حال

---

(1) نوال عبد الرحمان الشوابكة ادب الرحلات الاندلسية والمغربية ص 272 .
(2) إبن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة ، ص 170 .

فرحلة هذا الأخير تطلعنا على تنوع موضوعات شعره :" الحكم ، الجد ، الغزل ، الهزل " وضياع نص الرحلة الأصلي يشكل خسارة للأدب (1) . أما كاتبنا " إبن بطوطة " فقد قال مادحا سلطان الهند :

إليك أمير المؤمنين المبجـــــل أتينا نجد السير نحوك في الفلا
فلو أن فوق الشمس للمجد رتبت لكنت لأعلاه إماما مؤهلا (2).

كما زودت رحلة إبن خلدون الأدب بصورة من سمات الكتابة في عصره و ذلك من خلال إيراده لبعض المراسلات بينه و بين إبن الخطيب ، و لم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجدر الإشارة إلى أن بعض الرحالة قد و ظفوا الأمثال في رحلاتهم للتأكيد على صحة المعاني التي يدعون إليها ، و من أمثل ذلك ما أورده "إبن بطوطة" في رحلته " الكركدن رأس بلا بدن" (3) ، و لعل هذا ماخدم الأدب الشعبي خدمة جليلة وما وصل إليه أسلوب إبن جبير من حكمة تمخضت عن التجارب التي مر بها خلال مراحل رحلته حيث يقول : " و إن كان المحذور لا يغني عن المقدور شيئا " .

إذن الرحلات تدرس على أنها فن سردي ، له بعد أدبي يكتسب ملامح ذاتيه لتنفرد عن غيرها من الفنون الأدبية. فأسوب إبن جبير و صفوه بأنه من أجمل الأساليب و أنقاهم تعبيرا و أكثرهم إهتماما بأوضاع السياسة الإسلامية العامة ، أما العبدري فقد إمتاز بذوق أدبي وقدرة عالية في اللغة العربية الأمر الذي أعانه على تتبع أخطاء بعض العلماء و الأدباء كما لجأ بعض الرحالة إلى التطويل والإختصار و التفسير .

أما إبن خلدون فكان يسوق الأحداث و يذكرها بعناية و دقة لأنه يؤرخ حياته و التاريخ الدول التي إتصل بها ، ومع ذلك فلم تكن رحلته مجرد مادة سردية جافة ، و أولى المعاني عناية أكثر من عنايته بزخرفة الألفظ ، فمعظم الرحالة أصحاب ثقافة دينية إنعكست في أسلوبهم فلم يكن الخطاب الديني مستقلا من الخطاب التاريخي أو الإجتماعي ، و يمكننا إدراك ذلك من حشد الرحالة للأماكن المقدسة الموصوفة و جمع العبارات النصية الدينية والتاريخية و الشعبية التي تكشف أبعادها و تثبت مركزيتها .

فالفنون الأدبية ، و القيمة الأدبية لكتب الرحلات تظهر فيما تعرضه من أساليب ترتقي بها إلى عالم الأدب و إلى المستوى الخيال الفني ، و الشيء الذي نلاحظه أيضا أن كتب الرحالات قد إهتمت بأمور الحكام و الأمراء و علقت على كلامهم و طريقة نطقهم ، فقد علق " إبن بطوطة " على كلام بعض المدن العربية بأنه ليس بالفصيح ، فعند و صوله إلى مدينة " قلهات " و هي مدينة بعمان وصف كلام أهلها بأنه ليس بالفصيح .

فقال : " و كلامهم ليس بالفصيح مع أنهم عرب و كل كلمت يتكلمون بها يصلونها ب " لا " فيقولون : تأكل لا ، تمشي لا .. " (4). كما أنكر " إبن بطوطة " على خطيب الجمعة في البصرة لكثرة لحنه رغم إمتياز أهل البصرة بأكبر و كبار النحاة و اللغويين فشكا ذلك إلى القاضي و أعتذر عنه بوجود علماء في النحو .

(1) نوال عبد الرحمان الشوابكة ادب الرحلات الاندلسية والمغربية ص 99 .
(2) إبن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة ، ص 120 .
(3) ينظر المرجع نفسة ، ص11 .
(4) ينظر المرجع نفسة ، ص 243 .

لقد تدرج رحالاتنا "إبن بطوطة " في سلم العلم و المعرفة و البحث عن الأمثل و الإرتقاء والنضج العلمي و الفكري يشكل طريقه في تكوين الشخصية المتفردة و المتميزة ، وقد نال شهرة عريضة و منزلة رفيعة في الحياة السياسية و الإجتماعية و رحلته التي كتبها دليل على ذلك ، حيث أضفى على ما رواه من أحداث صبغة ذاتية و أحكام شخصية (1) ، فقد إلتزم بنظام معين و ترتيب زمني معين يثير الدهشة في سرده للأحداث و دقته في التصوير حيث ينقل المتلقي إلى عالمه يوما بيوم معتمدا على معاينة المواقع و الأحداث فيشعر المتلقي بصدق الرواية.

***2) جماليات الزمان و المكان :**

المكـــان:((المفهوم إصطلاحا)) :

إن السؤال عن المكان مرتبط في الواقع بالسؤال عن الوجود الإنساني ، هذا الوجود الذي تحقق دوما في ظل مكان ، حيث كان رحم الأم هو المكان الأول الذي مورست فيه الحياة بشكل أو بأخر ثم جاء المهد فالبيت،فالشارع،فالمدرسة، ثم المدينة أو القرية ثم أمكنة أخرى يكون أخرها القبر (2). ومما لا شك فيه أن الأمكنة التي نعيشها أو نحلم بالعيش فيها لا تبقى جامدة خاصة إذا تعلق الأمر بكاتب ما أو مؤلف ما إنها تسكن ذاكرته و تأسر خياله .

و قد إهتم الفيلسوف الفرنسي " غاستون باشلار " في كتابه " شعرية الفضاء بهذا الموضوع " دارسا القيم الجمالية للأماكن كالبيوت القديمة و السطوح و الأركان ، و هذا لا يعني أنه لا مكان في العالم سوى البيت لكن باشلار إنطلاقا من تركيزه على القيم الجمالية و الحميمية فهو يعتقد كل الأمكنة المسكونة حقا و المحلوم بها تحمل جوهر مفهوم البيت ، فيحس المرىء بأن البيت هو الذي يحميه و يحمي ذكرياته وأشيائه (3) .

ولهذا فإن التوصل الى وضع مفهوم للكلام ولمس جمالياته ، يستدعي التطرق إلى بعض العلوم التي تناولته بالدرس ، و التي إنبثقت عنها مفاهيم متعددة للمكان حسب نوع العلم . فكان الركن الأساسي فيها ثم ما لبث أن دخل إلى عالم الأدب ، فالمتأمل لهذا المتن يلاحظ أن أول تمظهرات المكان تتمثل في وقوف الشعراء الجاهلين على الأطلال ،حيث أن الديار الشاحبة المهجورة كانت تستوقف الشاعر ليمنحه كثيرا من شحوبها فيقول قصتها بكثير من المعاناة وقليل من السلام وقد تواصل الإهتمام بالمكان مع الشعراء العباسين والأندلسين الذين جسدوا في أشعارهم حبهم ، لبعض المدن و الحواضر أحيانا كما جسدوا أحيانا أخرى أسفهم لإفتقاد تلك الأمكنة و حسرتهم على سقوطها .

المفهوم : لغة :

لقد وردت لفظة مكان في العديد من معاجم اللغة العربية قديما وحديثا ، حيث جاء في معجم العين للفراهيدي "المكان في أصل تقدير الفعل مفعل ، لأنه موضع للكينونة فقالوا مكنا له وقد تمكن و ليس أعجب من تمسكن من المسكين" (4) ، فمن خلال هذا التعريف نجد ان المكان هو الموضع وانه من صيغة مفعل ، فدراسة المكان في الأعمال الادبية تعتبر من اعقد القضايا التي يتناولها الدرس الادبي فدراسته في الاعمال الادبية عامة . و في الفن القصصي خاصة

(1) ينظر إبن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة 243 .

(2) نوال عبد الرحمان الشوابكة ادب الرحلات الاندلسية والمغربية ص 254 .

(3) ينظر فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان " قراءة في مكانية النص الشعري " إنتشار العربي ، ط 1 بيروت 2008 ، ص 17.

(4): الخليل بن احمد الفراهيدي ، كتاب العين، " تر وتح" عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية،ط1 بيروت، 2003، ص 161 .

وقد جاء في اساس البلاغة للزمخشري كون كانت الكائنة و الكوائن ، و نقول اذا سمعت بخبر فكنه او بمكان خير فاسكنه (1)، فمن هذا التعريف نجد ان المكان هو الموضع و ان الصيغة الحقيقية له ، هي مفعل و ليس فعال فقد ادرج من مجمل التعاريف تحت الجذر كون بدلا من مكان ، فالعرب تقول كن مكانك و قم مكانك و اقعد مقعدك و الجمع امكنة و اماكن فلا بد لكل حدث من مكان خاص تقع فيه ، فهو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني ، فهو الاطار الذي تدور فيه الاحداث و تتحرك الشخصيات .

ب- اصطلاحا :

المكان ، فلسفيا:

هناك مفاهيم كثيرة للمكان عند الفلاسفة منذ القديم بداية بافلاطون ووصولا الى الفلاسفة المحدثين ، ومن اقدم الفلاسفة الذين تطرقوا لمفهوم المكان ، نجد افلاطون الذي يعتبر المكان هو الحاوي والقابل للشيىء ، في حين قام ارسطو بتحديده بانه محيط بالجسم .اما بالنسبة للفلاسفة المسلمين ، فقد نهلوا من فكرة ارسطو في تحديده للمكان .

ومن هؤلاء الفلاسفة نجد: الكندي ، الذي يؤكد ثبوت المكان ، وان الاجسام مهما زادت او نقصت او تحركت داخله ، فهي لا تفسده ولا تغيره ، لان هذا المكان هو اكبر منها وحاولها وبالاضافة الى ذلك ، فقد افاد كل من الفرابي - و ابو حيان التوحيدي - و ابو حامد الغزالي من فكرة ارسطو واقتدوا كذلك بموقف الكندي في مفهومه للمكان و اقراره بوجوده ، اذ يرى الفرابي ان لكل جسم طبيعي مكان خاص ، وابو حبان التوحيدي ، يحدد المكان بنقطة التقاء المحيط و المحاط به ، اما ابو حامد الغزالي ، فالمكان عنده هو عبارة عن سطح الجسم الحاوي) .

فمن الاراء المقدمة سابقا ، نجد ان الفلاسفة في نظرتهم للمكان قد حددوه على انه حاون للشيىء او محيط بالجسم او ان الجسم مستقر عليه ، فهو ظاهرة قابلة للملامسة ، فكل هذه التصورات تجعل من المكان حسيا ، وهو جزء لا يتجزا من كل الموجودات فالمكان شخصية ادبية و ركيزة من ركائز البناء الروائي ، اذ يساعد على التفكير و التركيز والادراك العقلي للاشياء والبيئة ، التي تنتظم مع الاحداث والشخصييات ، فمن خصائص المكان انه يميز العمل الروائي ويعطي له خصوصية وذلك بفعل التاثير القوي ، الذي يتركه في ذهن المتلقي .

المكان عند النقاد الغربيين:

نجد النقاد الغربيين قد حاولوا التمييز بين عدة مصطلحات ، تشترك كلها في مفهوم المكان ،وهي الحيز المجال الموقع الفضاء والفراغ ، فالنقاد الفرنسيين قد ضاقوا ذرعا بمحدودية مصطلح "lieu الموقع ، فعمدوا الى استخدام كلمة espace الفضاء ، و قد اعتبره "غاستون باشلار" هو محتوى تتجمع فيه مجموعة الاشياء المتفرقة" (2) و نجد النقاد الانجليز استخدموا مصطلح "location ، بقعة اضافة الى space و place المكان ، و الفضاء و عنوا: بـ location ، اي المكان الذي يقع فيه الحدث فكانوا بذلك اكثر تحديدا لهذا المفهوم المكاني.

(1) ينظر ، الزمخشري ، اساس البلاغة ، قدم له و شرح غريبه و علق عليه ، محمد أحمد قاسم ، ط 1 المكتبة العصرية ، بيروت 2003 ، ص 744

(2) ينظر حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، ط 1 ، الأردن 2006 ، ص 18 .

اما الباحثانا ، ابراهام مول - و ايليزابات رومر ، فقد انطلقا في تعريفهما للمكان من فكرة ان الانسان هو مركز االعالم ، و ان المكان يحيط به من جميع جوانبه ، فيشكل قواقع متتالية وبما ان الانسان هو نواة هذا المكان فحريته في التصرف تختلف من محيط الى اخر و على هذا الاساس فقد قسم هذان الباحثان الامكنة الى اربعة انواع (1).عندي وهو المكان الحميم الذي يملك فيه المرىء كل السلطة.

2* عند الاخرين شبيه بالاول في انه يمنح الانسان شيئا من الالفة و الحميمية ، و مختلف عنه ، كون الانسان يشعر انه خاضع لسلطة الغير.

3* الاماكن العامة : و هي اماكن تخضع للسلطة العامة تشعر فيها بالحرية لكنها حرية محدودة.

4* المكان اللامتناهي:

وهو المكان الذي نستطيع ان نمثل له بالصحراء ، حيث لا يكون هذا المكان ملكا لاحد ونلاحظ ان جميع الامكنة السابقة و السالفة الذكر ، تلهم الكاتب للكتابة فيها او عنها ، حيث نجد امكنة له سلطة مطلقة عليها مثل البيت ، واخرى لا سلطة لاحد عليها ، مثل الصحراء فيعبر بحرية عما يجول في ذهنه ، كما نجد الناقد: السوفياتي يوري لوتمان ، يعطي للمكان او لموضوعه بعدا اخر و ذلك لانه يربطه بالعمل الفني ، فهذا المكان من صفته انه متناهي غير انه يحاكي موضوعا غير متناهيا هو العالم الخارجي الذي يتجاوز حدود العمل الفني(2).

فمن خلال هذا القول ، نجد ان المكان الفني يمكن لنا تحديد ابعاده ، لان من ابرز صفاته انه منته غير ان الموضوع الذي يحاكيه ، هو موضوع لا متناهي ، فمثلا اللوحة الزيتية التي تمثل منظرا معينا تكون لها حدود تحدها ، غير ان موضوعها يحيل الى عالم لا حدود له ومساحته غير محدودة . كما نجده يقدم لنا تعريفا اخر ، اشمل واعم للمكان و هذا التعريف لا يقتصر عنده على مكان النص والمكان الجغرافي ، بل هو يتعد بذلك الى كل الاشياء التي يمكن ان تقوم بينهما علاقات مكانية ، حيث يقول المكان هو مجموعة الاشياء المتجانسة تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المعتادة مثل المسافة والاتصال (3).

اي ان المكان عنده يتعدى الحيز الجغرافي ، ليشمل كل الاشياء التي بينها علاقات مكانية وهو مجموعة الاشياء المتجانسة سواءا اكانت ظواهر او وظائف ، كما ان الاشياء المتغيرة عنده يعتبرها مكانا ، ويقول ان كل هذه الاشياء تقوم بينهما علاقات شبهها بالعلاقات المكانية المعتادة مثل المسافة .

د - المكان عند النقاد العرب:

لم يهتم النقاد بالمكان كعنصر اساسي من عناصر البناء الفني ، الا في منتصف القرن العشرين سواء في الاعمال السردية ، كالقصة والرواية والمسرحية ، وفي الاعمال المشهدية كالسينما واولى بوادر الاهتمام بالمكان ، ظهرت مع الناقد العراقي : غالب هلسا ، في ترجمته لكتاب شعرية الفضاء .

(1) ينظر حنان موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، ص 19 .
(2) ينظر ، فتيحة كحلوش بلاغة المكان ، ص 21
(3) ينظر المرجع نفسه ، ص 22

و لغاستون باشلارو ، قد نقله الى العربية تحت عنوان جماليات المكان و قد تلته عدة دراسات اخرى منها دراسة الناقد المغربي ، حميد لحميداني ، في كتابه بنية النص السردي فقد اعتبر المكان بمثابة العمود الفقري لكل نص ، والناقد الجزائري ، عبد الملك مرتاض الذي اعطى اهمية كبرى للمكان في العديد من دراسته ، فقد عرفه في كتابه تحليل الخطاب السردي ، بقوله: هو كل ما عنى حيزا جغرافيا حقيقيا ، من حيث نطلق الحيز في حد ذاته على كل فضاء خرافي او اسطوري او كل ما يند عن المكان المحسوس كالخطوط والابعاد والاحجام والاشياء المجسمة ، مثل الاشجار و الانهار و ما يعتري هذه المظاهر من حركة او تغير(1).

ويذهب عز الدين المناصرة الى ان كل الاماكن ترتبط بالماضي ، بشكل او باخر و بذلك تصير جزءا من الانسان ، ومن تاريخ حياته ، فالمكان الماضي ينشط الخيال ، لما يكتسبه من رموز و دلالات مع مرور الوقت ، اما المكان الحاضر ، فهومرتبط بالحواس فقط ، لانه يمتلك تاريخا يزوده بكل تلك الرموز والدلالات (2).

المكان في الادب :

يعرف المكان في مختلف العلوم الرياضية والفيزيائية ، بانه المجال الهندسي الذي له حدود وابعاد معينة ، و قياسات خاضعة لحسابات دقيقة ، بينما المكان في الادب يتشكل مما عاشه و يعايشه الاديب سواءا اكان ماديا او متخيلا ، و قد اثر المكان في حياة الانسان منذ القديم ومس وجدانه و مشاعره واكثر الناس تاثرا به ، هم الادباء لان لديهم القدرة على الابداع واعادة الانتاج المكاني و اكسابه سمات التجدد ، ولان الادب يصطبغ بذاتية الاديب ، فهذا يكسب المكان طابعا مجازيا يبعده احيانا عن واقعيته .

فيقول شوبنهاور: "إن العالم هو خيالي أنا " (3)، فابعاد المكان تختلف حسب اختلاف زاوية النظر وحسب نفسية الناظر ، فتكون بذلك وجهات نظر متعددة .فقد ارى مكانا ما براحا في حين يراه غيري ضيقا لا يكاد يتسع لبعوضة ، فالمكان اكثر من منظر طبيعي ، انه حالة نفسية ، فلكل شخص نظرته الخاصة للمكان ، وذلك حسب نفسيته انه حياة برمتها لا يحدها طول و لاعرض ، فهو الذي يتيح للانسان نقل هذا الشعور من واقع محسوس ذا تضاريس ومعالم الى مكان يصبح جزء من وجدانه(4).

أنواع المكان :ينقسم المكان باعتبار وجوده سواءا أكان هذا الوجود حقيقيا او مجازيا الى :

1* المكان الطباعي:

وهو ذلك المكان الذي يشغله النص ، على صفحة الكتابة و ان كان هذا شيئا ثانويا بالنسبة للعمل الروائي ، اما في النص الشعري فله اهمية بالغة ، فاول ما يتوقف عنده القارىء للشعر، هو انقلاب لعبة ملئ الصفحة (5).

(1)عبد الملك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي {معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية رقاق المدق} ديوان المطبوعات الجامعية ، ط4 ،الجزائر 1995 ص245.
(2)ينظرفتيحة كحلوش بلاغة المكان ص20
(3)غاستون باشلار ، جماليات المكان ، تر ، غالب هلسا ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، ط5 بيروت 2006 ، ص 179
(4)ينظر ، المرجع نفسه ص105ا
(5) ينظر، فتيحة كحلوش بلاغة المكان ص 23 .

2* المكان الجغرافي:

وهو المكان التي تجري فيه الاحداث ، وهو المادة الدسمة التي تفسح للشاعر مجالا للتخيل و غالبا ما يحدد الكاتب الرقعة الجغرافية التي تدور فيها الاحداث ، فالمكان الجغرافي ليس شيئا ماديا مجردا من الابعاد النفسية والاجتماعية والتاريخية ، فابن بطوطة ، مثلا عندما يذكر مكانامعينا ، فهو لا يرسم لنا تضاريسه وحدوده الجغرافية فقط ، بل يضيف الى ذلك مختلف الاحداث التي وقعت فيه وهنا تكمن قدرة كاتبنا على خلق هذه السياقات المختلفة فهو عندما يصف لنا القدس الشريف ، فهو لا يكتفي بوصف ظاهري له وكانه شيئ مادي لا روح له ، وانما يتجاوز ذلك الى السمات التي تكشف مدى الارتباط بهذا المكان الشريف .

فالتعامل مع المكان ليس مجرد وصف لمحتوياته فقط ، بل ذكرا للتجارب الحياتية فيه بسلبياتها وايجابياتها ، فالمكان الجغرافي يشمل بدوره انواعا كثيرة من الامكنة منها اماكن الالفة و مكان الغربة ، فالاول يشير الى تجربة جميلة عاشها الانسان ، و الثانية تشير الى تجربة قاسية.

3* المكان العرضي أو الوقتي:

و هو المكان الذي يحدث فيه الاختبار الترشيحي ، اي ليس بمكان الاصل او المكان المركزي الذي يقع فيه الانجاز فابن بطوطة في رحلته كانت اقامته فيها وقتية في كل مكان كان يزوره ، وهناك من عاب على هذا المكان بتسميته اللامكان ، لانه الفعل المغير للذات والجوهر لا يمكن ان يتجسم في اطار مكاني معين (1) .

4* المكان المجازي:

و هو المكان المفترض ، الذي ليس له وجود ، و تكون صفات هذا المكان من النوع الذي ندركه ذهنيا ، و لكننا لا نعيشه .

5* المكان المعيش:

و هو مكان التجربة المعيشية داخل العمل الروائي ، و القادر على اثارة ذكرى المكان عند القارىء و هو مكان عاشه الكاتب ، و بعد ان ابتعد عنه ، اخذ يعيش فيه بالخيال . انه المكان الذي لو عدنا اليه حتى في الظلام ، فلسوف نعرف طريقنا الى داخله ، و **اخيرا المكان المعادي:** وهو المكان الذي ياخذ تجسدات في السجن ، و هو الطبيعة الخالية من البشر ومكان الغربة و المنفى فالمكان هو خلاصة التفاعل بين الانسان و مجتمعه (2).

فالمكان:

هو الاحداثية التي يمكن معرفتها ، و ملاحظتها بفعل الحواس المختلفة التي يمتلكها الانسان وتاتي حاسة البصر في مقدمتها ، لانها تساعد على تنظيم العلاقات البشرية ، فالمكان هو تلك الجغرافيا متسعة احيانا وضيقة احيانا اخرى ، و تكون كذلك منغلقة لكنها تكون صارخة فهو هندسة يقوم الكاتب بتصميمها عن طريق حرية تصرفه وخيالاته ، فكل مكان يوجد بالمقابلة مع مكان اخر فهناك المنفتح ، حيث يكون مجالا رحبا امام الكاتب ، في حين ان المنغلق تكون الحدود فيه مقيدة و هناك المكان المريح ، الذي يذكرنا بتجارب سعيدة ونعبر فيه بحرية مطلقة ، في حين ان قيدت هذه الحرية واحسسنا بالحزن كان المكان مزعجا

(1) ينظر حنان محمد موسى حمودة الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ص 23
(2) ينظر المرجع نفسه ص 23

2 الزمان : أ- لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور ، ان الزمن والزمان اسم لقليل الوقت وكثيره ، وفي المحكم الزمن والزمان و الجمع ازمن وازمان وازمنة وزمن زامن وازمن الشيئ ، اي طال عليه الزمان وازمن بالمكان اقام به زمانا ، وعامله مزامنة وزمانا من الزمن والدهر والزمان واحد ، زمان الرطب والفاكهة وزمان الحر والبرد ويكون الزمان شهرين الى ستة اشهر (1).

ب- اصطلاحا:

يعد الزمن من بين العناصر الاساسية التي تبنى عليها الرواية ، إذ يستحيل علينا إيجاد فعل سردي معزول عن الزمن ، لكونه يكتسب معاني مختلفة و لأنه يأخذ أبعادا شتى في مختلف المجالات الإجتماعية و النفسية و العلمية ، وما يميز الزمن أنه يمثل الحياة التي يعيشها كل فرد منا و التي تتجسد في المراحل التي يمر بها عمر الإنسان (2) .

وما يميز الزمن أنه يمثل الحياة التي يعيشها كل فرد منا وهو يتكرر كونه يتمثل في دورات متعاقبة الأحداث ، كالليل والنهار و الفصول ، فالزمان موجود ويمتاز بالإستمرارية نظرا لدوام النشاط ، فهو بحركيته التي تتقدم دوما لا يعود أبدا وهو ما يقصد به الوقت الذي نقيسه بواسطة الساعة ، ويمتاز بتجرده وإنعزاله عن الذات الإنسانية ، وهذا ما يمكننا تسميته بالزمن الموضوعي أو الخارجي ، لأن عقارب الساعة في دورانها لا تمثل الزمن الحقيقي فاليوم و الليلة يعلمهم كل واحد منا وإنما البعد الحقيقي للزمن هو الذي يرتبط بالذات الإنسانية ، فهو أحيانا يطول و أحيانا يقصر بحسب الحالة النفسية التي نكون عليها .

علاقة الزمن بالمكان :

الزمن في الأدب هو الزمن الإنساني ، إنه وعينا للزمن كجزء من الخلفية الغامضة للخبرة فالزمن هنا خاص وذاتي و لعل من الضروري التنويه إلى أن الزمن سيان في المعنى ، وقد يغفو الإنسان لحظة لكن الزمن لن يتوقف ، و تسرب الزمن دون الوصول إلى الهدف يعني الخسارة (3)، والزمن مرتبط إرتباطا واضحا جليا بالمكان ، فالزمن هو عقل المكان ومع الإنسان ثالوث يشكل الحياة فرحالتنا حين يعلق على منظر طبيعي فإن المنظر لا يخلو من الزمان ، وهذا الأخير يلون المكان بألوان تتناسب مع الحدث

ففي رحلة " إبن بطوطة " تتضح فيها معاني الماضي و الحاضر و المستقبل ، و نظرة رحلتنا للزمن تغير معالم المكان تبعا لتغير الزمان من الماضي إلى الحاضر إلى المستقبل في ضوء الأحداث التي ألمت به وهو مؤمن أشد الإيمان بحضارة العرب العريقة ، فهو عاش في أحضانها و ترعرع بين طياتها (الشام ، بغداد ، مصر ..) ، فلغة العلاقة المكانية هنا تتخذ بوصف الواقع ، كما تكشف في الوقت نفسه عن رؤيا العالم لدى رحلتنا الذي عاش تجربة الحكم ، لا تبقى فيها إلا تذكار للأحلام التي حملتها أمواج بحر الحياة .

---

(1) إبن منظور أبي الفصل جمال الدين إبن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ج13 ، ط1 بيروت 1992 ص 192 .

(2) ينظر ، أحمد النعمي ، إيقاع الزمن فيالرواية العربية المعاصرة ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ط1 ، بيروت ، 2004 ص 16 .

(3)ينظر ، حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، ص 133 .

فمن داخل المناخ الرحلاوي الذي قضاه " إبن بطوطة " و تجربته في الحياة من خلال مواقف و شخصيات ، إشترك معها في صنع حاضره ، ومن خلال تلك الأمكنة رسم لوحة عريضة لمكان رئيسي ، فقد ركز في بداية رحلته على الزمن الماضي وعلى أماكن توحي بالإنطلاق و الحرية و الحياة .
وبنظرة فاحصة لزمن الرحلة نجد كاتبنا أحيانا يختصر الزمن وهو يصور حركته من الشباب إلى الكهولة فحركة الزمن هنا تسير بخط مستقيم فلقد شخص " إبن بطوطة الزمن بالتاريخ فقد زودنا بمعلومات تاريخية لنعرف ما حدث من و قائع في مثل تلك التواريخ لتنير دربنا بإستخدامه لتقنيات زمنية عديدة (1)

.

الزمان و الشخصية و المكان :

تظهر لنا في رحلة " إبن بطوطة " ذكره لبعض الأشخاص ، فكيف أستخدم كاتبنا التقنية الزمنية مع ذكره هذه الشخصيات ؟
لقد إتخذ رحالتنا من شخصية بعض الأشخاص رمزا للقوة التي لاتعرف حدودا ، فأصبح الزمان والمكان على غير حقيقتهما نتيجة هذه القوة .فمن المبهج أن يرى المرىء المستقبل ويتصوره ، فهذا الأخير هو الذي ينبهنا على سر الزمان ، فنرى الماضي والحاضر في ضوء المستقبل ، فرسم لنا كاتبنا المستقبل أحيانا مقترنا بوقت كزمان دون الغوص في الماضي أو الحاضر ، أما المكان فهو الفسيح لا تحده حدود ولا تتخلله عراقيل .

فمن هذا المنطلق من رحلة " إبن بطوطة " يتضح لنا جليا أن البلد الرئيسي الذي كان مقر أول رحلته هو المغرب ثم ترتبت عنه أماكن أخرى ، فتعددت هذه الأخيرة في الرحلة من بيت و مدينة و طريق و سوق ، ولما كان الزمان ملازما للمكان فقد إستهل رحلته يوم " الخميس 02 رجب 725 هـ / 1322 م فالمكان و الزمان يعتبران العمودان الأساسيان لقيام الظواهر الإنسانية (2) .

فكانت رحلة " إبن بطوطة " تجمع من حيث المنهج الترتيبي الزماني فكان يسير في رحلته عن طريق الحوليات و السنوات ، فرصدت لنا الرحلة كل مظاهر الحياة اليومية المختلفة في مجتمع من المجتمعات وذلك خلال فترة زمنية معينة ، فالزمن يربط بين الأحداث في الماضي و الحاضر و المستقبل وهو عنصر مهم و المكان هو حجر الزاوية فيه .

فالرحلة تنتمي إلى الأدب الجغرافي ، التي تتداخل فيه المسالك ومعاجم البلدان في خرائط المدن فالرحالة لا يتردد في وصفه لإحساسه بالمكان ، فهو لا يكتفي بالوصف الموضوعي فقط ، مثلما يفعل الجغرافي ، فهو يزاوج بين التاريخ المكان أو تموقعه الجغرافي في العالم وبين تاريخه الشخصي .

---

(1) ينظر ، حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، ص 150 .
(2) ينظر ، يوري لوتمان ، مشكلة المكان الفني ، جماليات المكان ، دار قرطبة ، ط2 ، المغرب 1988 ص1 .

وتذكر لنا " نوال عبد الرحمان الشوابكة " : أن الزمان و المكان هو: ذلك الفضاء الدائري وهذا الفضاء يتخذ شكل الإطار الخارجي للرحلة و يتم تحقيقه في زمن معين لينطلق معه من مكان الخروج فتنغلق الدائرة من ذات المكان عند الرجوع (1) .فكان إبن بطوطة حريصا على تسمية الأشياء بمسمياتها سواءا تعلق الأمر بأسماء الأماكن و الأشخاص لتكون بهذا الرحلة قد توصلت إلى إقترابها من بعض خصائص الكتابة الواقعية في فترة سيطر فيها النص الكلاسيكي شعرا ونثرا من جهة ، ومن تقاليد الكتابة الديوانية من جهة أخرى (2) .

الزمن هو بمثابة خيط يربط الأحداث في الماضي والحاضر والمستقبل ، فلا يمكن الفصل بين الزمان و الكان ، فهما مرتبطان إرتباطا وثيقا بالإنسان ، إذ يتحول المكان من تلك الأوصاف الجغرافية والتاريخية ليكون جزءا من التجربة الذاتية ، فكان للرحالة دورا في إبراز جماليات الزمان والمكان من خلال أسلوبهم في وصف الأمكنة ، فعند رجوعنا بين زمن بداية الرحلة وزمن نهايتها ينتقل الرحالة من مكان إلى أخر ، حيث يمتد فعل القص و سرد المشاهدات والوقائع الإجتماعية و الأحداث السياسية ، إلى جانب مراحل التكوين التي مر بها الرحالة (الولادة و النشأة) لتملأ بذلك تلك الأحداث و المؤثرات الزمنية و المكانية مراحل الرحلة التي قطعها الرحالة .

الأمكنة و الأزمنة وجمالياتها /

لقد فاق إبن بطوطة كل رحالة عصره ، و قطع حوالي 75 الف ميل تقريبا في أسفاره ، وهو الرحالة الوحيد في العصور الوسطى الذي زار كل البلاد الإسلامية ، فقد زار شمال إفريقيا وسوريا وخرج بعدها ليستكشف باقي بلاد الشرق الأوسط ، وبلاد فارس و بلاد الرافدين و أسيا الصغرى حتى وصل إلى شبه القارة الهندية التي أمضى فيها عقدا من الزمن .

وقد دون في مذكراته ما رآه في تلك القارات الشاسعة ، من زراعات وفواكه وعادات و معتقدات وطبائع الناس ، فقد قابل الكثرين منهم ، و إكتسب المزيد من المعارف الدينية والشرعية والإنسانية و سجل كل ما تقع عليه عينيه من مشاهد شتى تتعلق بالمسالك و الممالك و السكان والمخلوقات ، وما يتعاطاه الناس من مختلف الأنشطة و المناسبات و الأعياد و العادات و التقاليد فكان لوصفه أبعادا جمالية ، فهو ينقل لنا عالم المحسوسات المدركة المشاهدة إلى عالم الملموسات ، فيجعل رحلته تنبض بالحياة و الحركة ، فقدمت للقارىء المتعة و التشويق و كشفت عن خبايا الجمال الطبيعي لمختلف الأمكنة التي شاهدوها ومختلف البقاع و المواقع التي زاروها.

فنلحظ في و صف الرحالة في للأماكن التي زارها و قصدها ، إنتقاله من الوصف الكلي إلي الوصف الجزئي ، مدركا القيم الجمالية لتلك الاماكن ، وذلك بإطلاق أحكاما جمالية تنم عن إعجاب خاص بقداسة تلك الأماكن ، وجماليات الفن المعماري (3).

فقد و صف لنا "إبن بطوطة" كل كبيرة و صغيرة ، عن الأماكن التي قصدها سواءا سره ذلك الأمر أو أحزنه ، ولكن الشيء الذي حز في نفسه كثيرا ، وأيقظ همم شعوره هو تفكره في خلق الله ، فهو كلما زار مكانا وقف أمامه و قفة المسبح المهلل لأعظم خلق الله ، و كذا مخلوقات الله التي تفننت في رسم هذه المعالم الحضارية و الأثرية .

(1) ينظر ، نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ص 304 .
(2) ينظر المرجع نفسه ، ص 305 .
(3) ينظر المرجع نفسه ، ص 289 .

فقد وصف لنا القاهرة التي و صل إليها ، في أول جمادى الأولى سنة 726 هجرية/1325 م / التي أذهلته ، وسماها بأم المدن و سيدة الأرياف العريضة الأراضي المثمرة ، لا حدود لمبانيها الكثيرة ولا نظير لجمالها و بهائها ، فهي ملتقى الرائح و الغادي، و سوق الضعيف والقوي فقد أقام بها مدة كافية أتاحت له أن يصف لنا كل معالمها وأثارها بأسلوب ممتع .

ومن الإسكندرية إنتقل إلى دمنهور و صفها بأنها مدينة كبيرة ، و محاسنها أثيرة ، وأعتبرها أم مدن البحيرة بأسرها ، كما عرج على مدينة دمياط و وصفها بأنها مدينة فسيحة الأقطار متنوعة الثمار عجيبة الترتيب ، وشجر الموز بها كثير ، سورها حلوى ، والطير البحري بها كثير متناه السمن و بها الألبان الجاموسية التي لا مثيل لها في عذوبة الطعم و طيب المذاق .

وفي رمضان في سنة 726 هجرية و صل إلى دمشق ، فتعرف على علمائها و زهادها و أثارها و مشاهدها ، و في جامعها الكبير سمع "إبن بطوطة" صحيح البخاري في جماعة كبيرة من أهل العلم و طلابه (1)، و يفيض "إبن بطوطة" عند كل أثر إسلامي ، فوصف المدينة المنورة ، ومن المشاهد الكريمة التي لفتت إنتباهه ، مسجد قباء ، كما قال تعالى: " **و لمسجد اسس على التقوى أحب أن تدخلوا إليه** .. " ، و في و سطه ، مبرك الناقة بالنبي صلى الله عليه و سلم يتبرك الناس بالصلاة فيه ، و جبل أحد : وهو الجبل المبارك الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه و سلم: " **إن أحدا جبل يحبنا و نحبه**" (2) .

كما يصف مكة المعظمة ، تتلألأ نورا و إشراقا ، ومن عجائبها أن بابها يفتح ، والحرم غاص بأمم لا يحصيها إلا الله الذي خلقهم ورزقهم ، فيدخلون بهم جميعا ولا تضيق بهم ، ومن عجائبها انها لا تخلو عن طائف أبدا ليلا و لا نهارا ولم يراها أحد دون طائف قط . ويعرج على فضائل أهل مكة وعاداتهم وما لقي من علمائها و ما سمع من حكايات طريفة فيها حديث الوصافة اليقظ وما أدهشه أيضا الحمام الموجود بها فيقول : " إن هذا الأخير يطير على أعلى الحرم كله ويقال أنه لا ينزل عليها طائر ، إلا إذا كان به مرض ، فإما أن يموت لحينه ، أو يبرأ من مرضه "(3) فسبحان الذي خصها بالتشريف والتكريم و جعل لها المهاب و التعظيم.

جماليات العادات في مكة في إستهلال الشهور :

عادتهم أن يأتي أمير مكة في أول يوم من الشهر و قواده بحفون به ، وهو لابس البياض معتم متقلد سيفا و عليه السكينة و الوقار ، فيصلي عند المقام الكريم ركعتين ويقبل الحجر يندفع رئيس المؤذنين بالدعاء له و تهنئته بدخول الشهر،أما في شهر رجب فيأمر أمير مكة بضرب الطبول و البوقات ، إشعارا بدخول الشهر و بين أيديهم الرايات والطبول اشعارا بدخول الشهر فهدا اليوم عندهم عيد من الاعباد يلبسون فيه احسن الثياب و يتنافسون في ذلك و اوقات الشهر كلها معمورة بالعبادة وخصوصا اول يوم منه واليوم الخامسة عشر والسابع والعشرين فانهم يستعدون لها قبل ذلك بأيام (4).

---

(1) ينظر ، سيف الدين الكاتب ، الرحالة محمد إبن بطوطة ، ص 31 .
(2) ينظر : إبن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة ، ص 127 .
(3) المرجع نفسه ، ص 136 .
(4) المرجع نفسه ، ص 166 .

أما في ليلة النصف من شعبان فقد لفت إنتباهه مبادرة أهل مكة إلى أعمال البر من طواف وصلاة جماعات وأفراد يوقدون المصابيح ويقابل ذلك ضوء القمر ، فتلالأ الأرض والسماء نورا ويصلون مائة ركعة ، و بعضهم يطوف و بعضهم يخرج إلى الإعتمار .

فما أجملها من عبادات فمثلما قال صلى الله عليه و سلم عن ربه : " ما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أكون سمعه الذي يسمع به و بصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها .. "
وغيرها من مشاهد في رمضان و شوال وذي القعدة و ذي الحجة ، فكلها مشاهد مباركة تضرب الطبول بكرة وعشية إشعارا بالموسم المبارك ، وتوقد المشاعل وتسرج المصابيح والشمع وتلبس أحسن اللباس وتقام أحسن العبادات .

وفي العشرين من ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبعمائة خرج من مكة وإنتقل إلى البصرى وذكر المشاهد المباركة منها مشهد طلحة بن عبيد الله أحد المبشرين بالجنة ، وعليه قبة ومسجد وزاوية ، فيها الطعام للوارد والصادر وأهل البصرى يعظمونه تعظيما شديدا (1) .

ومشهد الزبير بن العوام ، و قبر الحليمة السعدية مرضعة الرسول صلى الله عليه و سلم وقبر أبي بكر الصديق صاحب الرسول صلى الله عليه و سلم . و على ستة أميال بقرب وادي السباع قبر أنس إبن مالك رضي الله عنه خادم الرسول صلى الله عليه و سلم ، و لا سبيل لزيارته إلا في جمع كثيف لكثرة السباع و عدم العمران ، كما اعجب بنيل مصر و أعتبره أفضل الأنهار عذوبة و أعظم منفعة و قد تحدث الله عنه عز و جل في قوله : " فإذا خفت عليه فألقيه في اليم .. " فاليم هنا هو البحر نظرا لعظمته فهو أحد أنهار الدنيا الخمسة الكبار .

ووصف الأهرام و هي من العجائب المذكورة على مر الدهر، و للناس فيها كلام كثير ، فقد زعموا أن جميع العلوم التي ظهرت قبل الطوفان أخذت عن "هرمس الأول " الساكن بصعيد مصر الاعلى و يسمى "أخنوخ " و هو إدريس عليه السلام و أنه أول من تكلم في الحركات الفلكية والجواهر العلوية ، وأنه أنذر الناس بالطوفان ، فبنى الاهرام " (2).

كما عرج على مدينة أسيوط و مدينة قنا بها قبر الشريف صالح الولي صاحب البراهين العجيبة والكرمات الشريفة ، كما قال ،ورآى بالمدرسة السيفية حفيده شهاب الدين أحمد ، ووصف مدينة الشام كما قال أنها متسعة الأقطار وكثيرة العمارة وحسنة الأسواق ، فيها المساجد الكثيرة والأسوار عليها ووصف مدينة الخليل عليه السلام ، وقال أنها كبيرة المقدار مشرقة الأنوار مسجدها أنيق الصنعة ، سامي الإرتفاع ، مبني بالصخر المنحوت .

فكان وصفه لهذا المسجد في حدود منتصف القرن الثامن الهجري، فحدد موقعه وعمره و في أي عصر بني؟ ثم تحدث عن أبعاده ومميزاته الجمالية ، وهي الزخرفة بالفسيفساء وإستعمال شمسيات الزجاج الملونة .. إلخ (3) .
كما تغنى بالمشاهد المباركة بالقدس الشريف فقد طاف بمدينة الرملة التي تحتوي على كبار العلماء و الفقهاء "مجد الدين النابلسي" و مدينة القصير وبها قبر معاذ بن جبل رضي الله عنه (4).

---

(1) ينظر : إبن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة ، ص 194 .
(2) ينظر، المرجع نفسه ، ص 36 .
(3) ينظر، المرجع نفسه ، ص 53 .
(4) ينظر، المرجع نفسه ، ص 58 .

ومدينة صور التي وصف بناءها بانه من اعجب ، واغرب الابنية و عرج على مدينة حمص وقال انها مدينة مليحة اشجارها مورقة ، وانهارها متدفقة و جامعها متميز واهلها عرب لهم فضل وكرم كما وصف مدينة حماه احدى امهات الشام الرفيعة فهي التي قال عنها الغرناطي هذه الابيات: حمى الله من شطى حماة مناظرا وقفت عليها الشمع والفكر و الطرفا (1) .
ثم سافر ابن بطوطة متوغلا في بلاد فارس فزار تستر و اصفاهان و شيراز وما لفت انتباهه هو جمال اصفاهان .

فوصفها بانها من اكبر المدن واحسنها وبها الفواكه الكثيرة ومنها المشمش الذي لا نظير له والسفرجل الذي لا مثيل له واهلها وصفهم بجمال الخلق والخلق ووصف مدينة الزيدين وسميت كذلك لان فيها قبر زيد بن ثابت وزيد بن ارقم الانصاري صاحبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ولى القضاء منها بذيبة المهل و هي جزائر كثيرة ملكها جلال الدين بن صلاح الدين صلاح وتزوج باخت هذا الملك ، وعرج على مدينة بغداد ، دار الاسلام وحضرة السلام ذات القدر الشريف والفضل المنيف مثوى الخلفاء ومقر العلماء فسلام على بغداد في كل موطن وحق لها مبنى السلام المضاعف.

ثم سافر الى تكريت و الموصل و وصفها ، بانها مدينة عتيقة فيها المساجد و الحمامات و الفنادق و الاسواق و بمدينة الموصل تل يونس عليه السلام وعلى نحو ميل منه العين المنسربة اليه يقال انه امر قومه بالتطهر فيها ، ثم صعدوا التل فدعوا فكشف الله عنهم العذاب مثلما قال تعالى "وكشفنا عنهم الضر"[2] ، من الموصل رحل الى البلاد التركية ، فزار نصيبين واعجبته اعجابا كبيرا ، فقد قال فيها الشعر و الشعراء 'ابو نواس' .
طابت نصيبين لي يوما و طبت لها يا ليت حظي من الدنيا نصيبين

ثم عرج على ماردين و لم يتوغل في تركيا ، حيث قفل راجعا الى الموصل ، فبغداد فوجد ركب الحج في اهبة الرحيل فخرج معهم ، ليحج للمرة الثانية سنة (728هـ -1327) ، وحج فيها ثالثة سنة (730هـ) ، فكانت الديار المقدسة حلمه الأول وكان يتمنى قضاء بقية عمره في رحاب أراضيها الطاهرة المقدسة ، و لكن طرأت عليه طوارئ غيرت اتجاهه و رفعته من صف الرجل العادي الى عبقري من عباقرة التاريخ ، انه الإيمان الخفي الذي ألقاه في روعه ذلك الزاهد الاسكندري وذكر له انه سيزور الهند والسند والصين.

و فعلا تحققت النبوة و زار ابن بطوطة هذه البلدان ، و كان كل يوم يرى كرامة او عجيبة من تلك العجائب ، و كان ذلك كافيا ليجدد همته في الرحلة و السياحة في الارض ، و قد اقام في الهند امدا غير قصير ربما لكثرة ما صادفه من النفع الدنيوي و الأخروي ، و قد تزوج هناك غير مرة وانجب أولادا كثيرين(3)

وما لفت انتباهه واعجابه بالهند (النارجيل) ، الموجود بها وهو جوز الهند و وصف شجره انه اغرب الاشجار شانا ، و اعجبها امرا وشجره يشبه شجر النخل لا فرق بينهما الا ان الاولى تثمر جوزا و تلك تمرا و جوزها يشبه راس ابن ادم لان فيها شبه العينين و الفم فالجوزة منها وخصوصا التي بجزائر ذيبة المهل تكون بمقدار راس الادمي (4)

(1)ينظر ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ص 64.
(2)ينظر المرجع نفسه ص 249 .
(3)ينظر ، سيف الدين ، الكاتب الرحالة محمد بن بطوطة ، ص43.
(4) ينظر، ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ، ص280.

كما وصف لنا ارض الظلمة و كان الدخول إليها من بلغار وبينهما أربعون يوما والسفر فيها لا يكون الا في عجلات صغار تجرها كلاب كبار فان تلك المفازة كما ، قال فيها الجليد فلا تثبت قدم الادمي و لا حافر الدابة فيها و الكلاب لها الأظفار ، فتثبت أقدامها في الجليد و الكلب عندهم مقدس ، لايضر به صاحبه ولا ينهره و إذا حضر الطعام اطعم الكلاب أولا قبل بني ادم والا غضب الكلب و فر .

لقد راى "ابن بطوطةّ" وسمع والتقى وجرب ، وعاش عجائب كثيرة وعادا ت وحكايات لا تنتهي ، فجعبته ملاى بالمواقف والقصص المثيرة ، فما اجمل الرحلات التي تفيض بالمشاهدات الحية والملاحظات الطريفة والتجارب الواسعة والمفاجات والمعرفة وتمحيص الخقائق مع القدرة على التعبير والدقة والتصوير ، فلقد امدنا رحالتنا بمعلومات تاريخية وجغرافية تتخللها اشارات ومعلومات عن الحياة وعادات الناس وعن المدن و الجزر والجبال و الاودية و مختلف الظواهر ، فما اعظم ان نتدبر قول الله تعالى " اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم " الاية 21 غافر.

علاقات جماليات الزمان و المكان بالناس :

تتصل الأماكن و الأزمنة بالناس و هي الإطار الذي نراهم يعيشون و يعملون و يتحركون فيه فيعيشون في البيوت والقصور ، ويصلون في المساجد و الكنائس ، و يأكلون في المطاعم فإرتباط الأماكن و الأزمنة بالناس له و جهان : الأول هو إرتباطها بمن بنوها ؟ فمواد بنائها وهيأتها و طراز عماراتها تدل على وجود فنان (1) ، و ترتبط إرتباطا حضاريا و زمنيا حسب الطراز فهناك الطراز الروماني ، والإسلامي ، وهناك البيت الأوربي والعربي ، وهناك أساليب في البناء فالأسلوب المزابي في البناء يختلف عن الأسلوب القبائلي ، فتدربنا على وصف الأمكنة والأزمنة يهدف إلى التعرف على هذه الأثار العظيمة ، وخصائصها وتذوق جمالها وإستنطاقها على صانعيها بنائها .

فالأماكن تنطق بمن يعرف لغتها و يحسن محاورتها ، حتى إذا دخل أحدهم المسجد ليصلي عرف نمط بنائه ، وفي أي عصر بني ؟ و يعرف ما يميز زخرفة جدرانه ليهتم بأثار بلاده ويقدر جمالها و قيمتها الفنية و التاريخية ، و يعتاد زيارة المتاحف في كل بلد يحل به ، ليشاهد أثاره و يعرف حضارته .
فقد نحب مكانا ما ليس لذاته بل لإرتباطه بساكنيه ، فقد توصل العرب الأطلال قديما ووقف عليها ليس حبا فيها ولكن لإرتباطها بالأحبة ، ووصف الأماكن في الرواية ، وهو في الحقيقة وصف لأصحابها من خلالها ، فجزء من هذا الوصف الداخلي يكشف عن هذه الشخصيات وظهرها العقلي والنفسي والإجتماعي ، لذك كان وصف المكان وثيق بصاحبه فنجد مثلا رحالتنا عندما يصف أهل مكة فيقول " ولأهل مكة الأفعال الجميلة و المكارم التامة ، والأخلاق الحسنة والإثار للضعفاء ، و حسن الجوار للغرباء وأهل مكة لهم ظرف ونظافة في الملابس وأكثر لباسهم البياض ، ويستعملون الطيب كثيرا .. " (2) .
فهو عندما يصف لنا مكة فلا يكتفي بوصف أثارها الإسلامية فهو يستعرض تاريخها و يعرج على وصفه لفضائل أهل مكة و عاداتهم ، فجمال المكان من جمال أهله و عاداته فقد صور لنا إبن بطوطة الحركة الثقافية بأسفاره وتنقلاته و أعطانة صورة مصغرة عن المجتمعات والشعوب

(1) ينظر ، فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ص 496 .
(2) إبن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة ، ص 344 .

كما يحدثنا عما شاهده من مركز مهم للجمارك على الحدود بين مصر والشام ، فكان يجرى فيه التفتيش فيقول " و بها تؤخذ الزكاة من التجار و تقاس أمتعتهم و يبحثون عما لديهم أشد البحث كل يوم 1000 دينار من الذهب و لا يجوز عليها أحد إلى الشام إلا ببراءة من مصر ولا من مصر إلا ببراءة من الشام إحتياطا على أموال الناس و توقيا من الجواسيس " (1) .

أنظر إلى هذه العادات التي تشد الإنتباه وتذهل العقول ؟ . وكيف كان يفعل العرب لإتقاء السرقة ؟ ، فهذه المعالم تعزيز الروح الدينية في نفوس الأمة .

فإتباع مثل هذه المناهج هو تلقيني تعليمي و تذكير بواجباتنا الإسلامية إتجاه الأخرين ، وبهذا فإن " إبن بطوطة " إستطاع أن يرسم لنا صورة جليلة لمعظم الأماكن والأزمنة كما صور لنا معظم العادات الشعوب و تقاليدها و مختلف الأنشطة الثقافية و الإقتصادية ، فقد بينت لنا رحلته أن العلاقات بين مختلف العناصر كانت تقوم على أساس الأخذ و العطاء .

و لاغرابة أن يحدث مثل هذا التأثر بين مختلف المدن الإسلامية فقد عاش رحالتنا في بيئات عديدة ولمدة طويلة ، الأمر الذي ترك أثر هذا المكان و الزمان والشعوب في نفسه ، فقد تشكلت بهذا حضارة إنسانية ذات أصل واحد ، حيث لا حضارة معزولة عن الحضارات الأخرى ، فكل حضارات تأخذ عن الأخرى في شتى الميادين.

3 * جماليات التنويع الثقافي و الاجتماعي :

التنويع الثقافي: لقد كانت الرحلات لونا من الوان التبادل الفكري و الادبي اذ مثلت واسطة احتكاك بين الثقافات المختلفة من جانب و أداة تفاعل داخل الثقافة الواحدة كيف ذلك ، لقد لمس الرحالة الفوارق بين مختلف الثقافات في البلدان التي قصدوها والموا بمظاهر الحضارة في تلك البلدان فأصبح بعضها جزءا من التكوين الثقافي للرحالة وشكل بعضها الأخر صراعا حضاريا في فكر الرحالة لاسيما مواقف الحرية و المساواة .

كما أدت الرحلة دورا كبيرا في الكشف عن مختلف الثقافات الإنسانية و اللغوية و الدينية وجوانب الحياة اليومية كالبيئة و الملبس و المأكل و العادات و التقاليد و الإحتفالات الشعبية والحكايات و قد قارنا الرحالة بين واقع مجتمعاتهم و المجتمعات الأخرى التي قصدوها حيث إتصلوا بشعوبهم و إنتقلوا إلى شعوب أخرى و ثقافات جديدة وعادوا إلى بلادهم بشخصية صقلتها التجارب و بثقافات زودتهم بها حضارات و ثقافات متعددة (2) .

ويؤكد ذلك شوقي ضيف حين قال " إن الدور الكبير للمشرق في إفادة الأندلسين علما و فكرا ،فجل ما أفادوه أتاه من الشرق إذ نقلوا الثروة العلمية المشرقية إلى بلادهم بكل ما فيها من فقه ولغة و نحو و فلسفة و طب .. " (3) .و عليه فقد عدت الرحلة عاملا مهم من عوامل التفاعل الثقافي حيث ترك الرحالة أثار قيمة في البلدان التي قصدوها كما نهلوا معرفة واسعة من تلك البلدان التي أفادو بها شعوبهم بعد عودتهم لبلادهم .

---

(1) ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ،ص345 .
(2) ينظر ، نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ص 187.
(3) شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، ط1 ، إلإسكندرية 2006 ، ص 317

أ- النشاط الإقتصادي :

لقد زار الرحالة " إبن بطوطة " معظم البلدان و قد تصورت في ذاكرته صورا كثيرة للملامح الإقتصادية ، فقد عرفت بأهم المحاصيل الزراعية والموارد المائية ، وأشهر البضائع و السلع والصناعات والمعادن والتجارة و الأسواق والعملات والتنظيمات المالية فكانت بمثابة وثائق هامة للدارسين بمختلف الأنظمة الإقصادية (1).

وقد زخرت بمستويات جغرافية طبيعية كالمناخ والثروات الزراعية والحيوانية والبشرية والأسواق وطرق المواصلات البرية والبحرية ومختلف مظاهر الحضارة والعمران فقد سجل لنا " إبن بطوطة " مشاهداته ، وهو يجتاز البلدان بما فيها من أنهار وبحار وسهول وجبال وهي ملاحظات موجزة ولكنها قدمت للمؤرخين والباحثين مادة غنية ، ف" إبن بطوطة " لم يترك أي مكان إلا و تحدث عن سعة الأراضي الزراعية فيه و تنوع المحاصيل و مما ذكره لنا عن الفصول الزراعية في الهند تنقسم إلى فصلين أولهما يشتمل على الزراعة الخريفية و ثانيهما على الزراعة الربيعية ، ويذكر لنا أهم تلك المزروعات منها الماش وهو نوع من الجلبان و اللوبيا و القمح و الشعير و الحمص .. " (2).

وقد بين لنا " إبن بطوطة " أن الصين غنية بالسكر والأعناب والإجاص وأن جميع فواكه البلاد العربية تنبث فيها و ذكر أن القمح يزع فيها بوفرة وهومن أحسن أنواع القمح ، كما يزرع فيها العدس والحمص ، تعتمد الزراعة فيها على وفرة المياه والأنهار و الأبار(3) ، كما وصف " إبن بطوطة ما لفت نظره من الحيونات والحشرات والطيور ومنها طائر: " الرخ الخرافي " ، الذي يبدو أن " إبن بطوطة "، نفسه لم يكن متأكدا من رؤيته ، مثلما قال : " ولكن ريحا طيبا صرفتنا عن صوبه .." (4).

كما تحدث عن شجرة عجيبة الشأن ، في بلاد المليبار ، وهي خضراء ناعمة تشبه أوراقها التين إلا أنها لينة . ولم يكتفي رحالتنا بوصف الثروة الحيوانية ، بل إنتقل إلى و صف الثروة المعدنية في البلاد التي زارها ، فقد أشار إلى وجود الذهب في أواسط إفريقيا ، وذهب بلاد الصين لا يضاهيه في ذلك إقليم من أقاليم الأرض وعادة التجار في تلك البلاد أن يسبك ما عنده من الذهب و الفضة قطعا ويسمون القطعة الواحدة " بركالة " (5).

وقد ربط رحالتنا أحيانا بين الثروة النباتية والصناغية في بعض المدن التي قصدها ، فقد نوه بصناعة الأنسجة القطنية المعلمة بالذهب وهي الصناعة كانت تقوم بها النساء في مدينة لاذق وهي أنسجة لا مثيل لها تطول أعمارها لصحة قطنها وقوة غزلها ، و بهذا فقد كشفت لنا رحلة "إبن بطوطة" عن تنوع و إختلاف في أشكال الملابس و مادة صناعتها التي تنسجم مع بيئة البلدان المختلفة تبعا لتفاوت الأحوال الجوية من درجات حرارة و برودة ، إضافة إلى الظروف المعاشية للسكان و أحوالهم الإقتصادية .

(1) ينظر ، نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ص 111 .
(2) ابن بطوطة رحلة ابن بطوطة ، ص 24 .
(3) ينظر المرجع نفسه ، ص 26 .
(4) ينظر المرجع نفسه ، ص 242 .
(5) ينظر ، نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ص 120.

صناعة الورق :

تعد من توابع العمران وإتساع نطاق الدولة حيث كثرت التأليف العلمية والدواوين ، وتعد هذه الصناعة من أجود منتجات الصين ومن أعظم المدن في إحكام صناعته . ولا نغفل عن صناعات أخرى بسيطة ، مثل صناعة الصابون المطيب لغسل الأيادي بمصر الذي كان يصبغ بالصفرة والحمرة ، وصناعة الفخار ، كما ذكر لنا إبن بطوطة أن أهل الصين أعظم الأمم إحكاما لصناعته

كما إحتلت الأواني المصنوعة من النحاس في بلاد الشام أهمية كبرى ، وصناعة الزجاج في العراق وصناعة الأواني الخشبية وأواني الزينة المصنوعة من الملح في بلاد هرمز ، وأنية الماء المصنوعة من الخزف وتعرف بالريحية في تونس(1) ، كما أشار رحالتنا أيضا إلى صناعة العطور والأدهان العطرية ، فمن عادات جزائر ذيبة المهل أنهم إذا صلوا الصبح أتت كل إمرأة إلى زوجها أو إبنها بمكحلة الورد فيكحل عينيه ويدهن بماء الورد بشرته فتزيل الشحوب عن وجهه .

أما الصناعات الجلدية فتركزت بكثرت في اليمن ، فتصنع من الجلود نعال مختلفة الألوان كما تصنع في بلاد الصقالبة السروج واللجم فقد نقل لنا "إبن بطوطة" تطور الصناعة التي رافقت عملية التبادل التجاري ، كما لا نغفل عن دور التجارة ووسائل النقل ، فقد وصف لنا " إبن بطوطة" العلاقة الوثيقة والترابط بين الأسواق ، كما وصف لنا التنظيمات المالية والصادرات والواردات كما أشار لنا أن بعض البلدان كانت تقتصر في نشاطها الإقتصادي و بشكل رئيسي على التجارة وحدها بما فيها من ربح عظيم .

فأهل مدينة "تكدا" في السودان شغلهم التجارة فقط ، كما وصف لنا الأماكن التي مثلت مراكز تجارية هامة مثل الأماكن المقدسة ، فمكة كانت ملتقى الحجاج والتجار وملتقى الصادر والوارد كما أبدى لنا رحالتنا إعجابه ببعض الأسواق وإستنكاره لأسواق أخرى ولا سيما في إنعدام النظافة مثل سوق " ظفار " الذي إعتبره من أقذر الأسواق وأشدها نتنا (2) .هذا من جهة التجارة ، أما من جهة التنظيمات المالية فقد عدت رحلة " إبن بطوطة " مصدرا هاما وصدرا إقتصاديا ألم بأهم العملات و مقارنة بغيرها من عملات البلاد الأخرى لا سيما العملة المغربية .

كما ذكر لنا المادة التي سكت منها النقود فكانت دنانير المغرب و تونس و قسنطينة من الذهب ومن المعالم الحضارية التي نقلها إلينا " إبن بطوطة " تلك البيوت المتنقلة التي كانت تحملها العربات، وكما أشار إلى بعض المؤسسات الإجتماعية التي عرفتها المدن الإسلامية و منها الحمامات العامة التي لم تتوقف على نظافة الجسم فقط بل أعتبرت أهميتها في أنها مراكز هامة في المدن الإسلامية فإذا دخل المريض إليها شفي بإذن الله .

ومن المعالم الحضارية الأخرى التي تمثل إرتباط الصناعة بالعمران ، تلك الساعات العجيبة التي لفتت أنظاره ، فقد سجل كل ماكان يراه في فن العمارة الإسلامية وما كانت عليه وما طرأ عليها من تغيرات أو زوال أو تجديدات أو إصلاحات ، فقد كانت هذه الأوصاف على جانب كبير من الأهمية في علم الأثار و الفنون .

---

(1) ينظر ، نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ص 130.
(2) ينظر المرجع نفسه ، ص138 .

التنويع الإجتماعي :

لقد ركزت رحلة "إبن بطوطة "على العلاقة بين المكان والإنسان كما ذكر سابقا ، فرسمت لنا صور للحياة الإجتماعية ولا نغفل عن التأثير الديني أيضا الذي كان عنصرا مهما ، فقد صورت لنا الرحلة المحطات الهامة في حياة الإنسان وكل ما يرتبط به من مظاهر إجتماعية وإحتفالات بالمناسبات السعيدة و الحزينة وما يرافقها من عادات وتقاليد . فهي تختلف من بلد إلى أخربنسب متفاوتة فيها وان كانت متشابهة في بعض البلدان غير ان لكل بلد خصوصياته .

العادات و التقاليد و اللباس:

لقد وصف لنا ابن بطوطة عادات اهل مكة في ليالي رمضان من تزيين الاسواق وضرب الطبول والتهليل و التكبير والتزيين باجمل اللباس (1)، كما اشار رحالتنا الى بعض العادات التي تدل على التدين ومنهم انهم لا يعترضون القوافل وإذا طلب إنسان غريما لجأ إلى المسجد أو الخطيب ولا يتعرضون لمال الغرباء أو مال اليتيم حتى يأخذ مستحقه شرعا ، كما نبذ رحالتنا بعض العادات الذميمة التي لاحظ إنتشارها وحاول بشتى الطرق محاربتها ، و لم يخف مع الله لومة لائم .

ومن بين العادات الذميمة ، تعاطي الحشيش وشرب الخمر ، التي تتنافى مع طبيعة الدين وتعاليمه في المجتمعات الإسلامية ويعود هذا إلى طبيعة وتكوين ، وشخصية الرحالة فهو يحارب البدع والخرفات والعادات والتقاليد الذميمة بشتى الوسائل . كما حفلت رحلته بالإشارة إلى وصف الملابس و زينتها من منطقة إلى أخرى فربما دل تنوع الألبسة وإختلافها بين الحكام والطبقات الغنية و طبقة عامة الشعب عى الحالة الإقتصادية و الوضع الإجتماعي في تلك العصور ، فكانت الطبقة الحاكمة و الغنية تتفاخر بمظاهر اللباس و تبالغ فيه لاسيما في المناسبات و الأعياد .

فكان لبس بعض علماء مصر مثلا عباءة صوف خشنة و عمامة صوف سوداء و لباس القاضي الخطيب في مكة ثياب سوداء في حين ساد اللون الأبيض ثياب أهل مكة ، أما لباس أهل ظفار فهو القطن ، يشدون الفوط في أوساطهم عوض السروال ، كما كان إرتباط الملابس ببعض المناسبات فالحزن له لباس و لأيام المطر و البرد لباس و هكذا .. (2) .

كما صور لنا " إبن بطوطة " و سلط الضوء ، على بعض قبائل الصين التي تجعل في أذانها أقراطا كبيرة و تكون فتحة القرط منها نصف شبر ، فعين رحالتنا اللاقطة لمثل هذه التنوعات والإختلافات في اللباس في مختلف البلدان التي تنقل فيها قدمت ما يشكل أهمية كبرى لعلماء الأنتروبولوجيا و الفولكلور الشعبي .

(1) ينظر ، نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ص 160.
(2) ينظر ، إبن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة ، ص 46 .

الأعياد و الأعراس و الإحتفالات الشعبية :

لقد رسم لنا الرحالة صورا للمجتمعات في مواسم مختلفة وو صف الشعائر التي إعتاد أهلها تأديتها فأهل مكة مثلا في المناسبات الدينية يستقبلون الهلال و يحتفلون بالعمرة الرجبية و يشعلون النار ويوقدون الشموع عند رؤية الهلال كما وصف ممارسة الناس لألعاب الفروسية أمام موكب الأمير كلعبهم بالسيف والترس ، وكان المؤذن يؤذن في قبة زمزم و يهنىء بالموسم ، والرجال في أثناء ذلك يتلاقون فيتصافحون والنساء كذلك فالكل قد لبس أحسن اللباس وإحتفل إحتفال أهل البلاد للأعياد و لم يقف رحالتنا عند هذا الحد بل و صف الإحتفالات والأعراس في كل مكان حط رحاله فيه حتى الجنازة كان لها ترتيب خاص عنده فهو لم يغفل عن صغيرة و لا كبيرة إلا ألم بها .

الأطعمة و الأشربة :

إن الناس عامة في مختلف البلدان يتفقون في كثير من الأطعمة والأشربة والعادات المتبعة فيها غير أن إختلاف الوضع الإقتصادي والمستوى الإجتماعي لبعض البلدان يظهر ذلك التفاوت فطعام الملوك والسلاطين يختلف عن العامة فطعام بعض السلاطين في رمضان مثلما قال رحالتنا أن بعضهم كان يفطر على ثريد في صفحة صغيرة ويقدمون الثريد تبركا بالنبي صلى الله عليه وسلم أما موائد بعضهم الأخر فكانت مليئة بالدجاج المشوي والفراخ الحمام ومختلف أنواع الأطعمة والفواكه وقد إتصفوا بالبخل إذ لا يقدمون ما يستحق للفقراء منهم (1).

كما تحدث عن بعض العادات المتبعة في الطعام وفيها عادة أن المرأة في بعض البلدان لا تأكل مع زوجها ولا يعلم الرجل ما تأكله المرأة ، أما الأشربة فيبدو أن اللبن هو الذي إحتل الصدارة فقد إشتهرت مدينة دمياط في مصر به وفي السودان الغربي كان طعامهم اللبن والعسل بالدرجة الأول فهو الضيافة الكبرى عندهم .

صورة المرأة :

وصفها أنها صاحبة العلم و رواية الأحاديث و الحريصة على أداء الفريضة وزيارة المدينة المنورة وكانت تجتمع لسماع الوعظ و النصيحة و هذه المرأة بمكة كما وصفها بالمتحررة و إبداء الرأي في إختيار الزوج المناسب فقد إمتنعت إبنة وزير السلطان بجزائر ذيبة المهل عن الزواج بإبن بطوطة و قال له الوزير أن إبنته إمتنعت عن الزواج به و هي مالكة أمر نفسها (2).

كما وصف لنا " إبن بطوطة" نساء الأتراك حيث تأتي إحداهن إلى السوق و معها عدتها بالغنم واللبن فتبيعه للناس بالسلع العطرية و ربما يكون مع المرأة منهن زوجها فيظن من يراها إنه بعض خدامها و كذالك نساء الأعراب ببلاد طرابلس كانوا يستعملون نسائهم في البيع و الشراء وهي إلى ذلك تهتم بجمالها كثيرا حتى إن إحداهن لتبيت جائعة و تشتري بقوتها طيبا (3) .

أما نساء مدينة زبيد اليمنية فيصفهن بحسن الجمال الفائق و يتحدث عن مشاركتهن في سبوت النخل فيخرجن أيام البسر و الرطب إلى حدائق النخل ممتطيات الجمال ، و للغريب عندهم قيمة كبرى فلا يترددن بالزواج به و إن كان بينهما و لد فالمرأة هي التي تتكفل به إلى أن يعود و الده ولا تطالبه في أيام غيبته بنفقة و لا كسوة و لا سواه و إن كان مقيما معها فهي تقتنع بالقليل من النفقة و الكسوة .

(1) ينظر ، إبن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة ، ص 260 .
(2) ينظر ، نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ص 169.
(3) ينظر ، المرجع نفسه ، ص 170.

كما أشار إلى خروج النساء في جماعات كثيرة ، فمثلا خروج النساء للمشاركة في توديع السلطان أبي عنان حين قرر القيام برحلة والنساء هنا يختلطن بالرجال فلم يفرق بين السلاح والعيون الملاح ولا بين حمر البنود و لا حمر الخدود وهذه كناية عن المرأة ، فكل هذه كانت من مظاهر التحرر للمرأة في بعض البلدان .

هذه هي عين "إبن بطوطة" الثاقبة فلم يترك شيئا أسره أو أحزنه إلا و أبدى رأيه فيه ، فقد حزت نفسه لما رأته من صورة للنساء في بعض مدن السودان و بعض بلدان أسيا الصغرى ، ونساء جزر المالديف ، فكان يبدي رأيه ولا يخاف مع الله لومة لائم ، فكما أعطى صورة إجابية للمرأة أعطاها الصورة السلبية ولا نغفل عن دور المصاهرة بين الأمم ، فرحالتنا قد تزوج من العديد من النساء ، هذا ما ساهم في إزدياد الصلات و توثيقها و تماسكها ، و لا شك أن هذا التمازج الإجتماعي و العرقي أثر تأثيرا واضحا في المجال الثقافي والإجتماعي ، فتلاقحت الثقافات وتحاورت الحضارت ضمن مبدأ التأثير والتأثر فالمرأة دخلت في حياة " إبن بطوطة " من بابها الواسع و بعد فقد إستطاع رحالتنا أن يقدم للأجيال صفحات من تاريخ البلدان التي كان يمر بها أو يزورها ، فعدت رحلته مصدرا من مصادر التاريخ سواءا في الجانب السياسي أو الإقتصادي أو الثقافي أو الاجتماعي فهي مادة تفيد المؤرخين والدارسين و تفتح لهم الأفاق التي قد لا تيسرها لهم مصادر التاريخ .

فقد قدم لنا رحالتنا أشبه ما يكون بين مزيج الرحلة والأنتوجرافيا التي تسعى إلى تقديم وصف موضوعي للشعوب والأمم وعاداتهم و تقاليدهم و أخلاقهم و طريقة لباسهم و أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ، فقد إستخلص لنا أسلوب الحياة في البلد التي زارها من خلال إستقراء وتحليل القيم و الأفكار .

خاتمة

لقد حاولنا في هذه الدراسة أن نكشف عن جماليات الرحلة عند " إبن بطوطة " وسياقاتها المعرفية والثقافية والإجتماعية والدينية ، وأن نبرز دور الرحالة في التفاعل الثقافي ونقل إبداعات الشعوب وثقافتها إلى سائر أقطار العالم ، وأن نبين مدى الإرتباط الروحي والمادي بين البلدان التي زارها الرحالة ، حيث إقترنا ذلك الإتصال بنهوض ثقافي و تطور حضاري في مختلف تلك المجتمعات التي رغم إختلافاتها الحياتية و البيئية إلا أن الثقافات الإسلامية صاغتها ثقافة واحدة رغم تباعد الأصقاع فكانت الرحلة وجمالياتها لزيارة معظم الأقطار ، فأفرزت هذه الأخيرة مذكرات ومشاهدات الرحالة.

فنشآ مايسمى بالرحلة الوصفية فقد عبر الرحالة عن وصفه لمراحل رحالاته وإنطباعاتها كما برزت أيضا بعض الصور النفسية لديه مما أكسب الرحالات عنصر الإمتاع وقربها من الأدب فكانت رحالاته فنية سردت أخبارها في شكل قصصي ، وبهذا تكون الرحلة قد رصدت تنوع المعالم الحضارية في مختلف الجوانب الحياتية في البلدان التي قصدها الرحالة ، وكشفت لنا الإنتماء إلى ثقافة الذات ، و فهم لثقافة الأخر والإنفتاح عليه ، مبينة الترابط والتلاحم بين كل العناصر البشرية والثقافية التي زارها الرحالة فهي منبع ثري لمختلف العلوم وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة على مر العصور فقد كشفت لنا الرحالات مالم يكشفه التاريخ و لذلك كانت أهميتها تكمن في قيمتها العلمية و الفنية .

فالعلمية تكمن في تزويد أهل التاريخ و الجغرافية والأثار و الأدب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف المدن والطرق والعمران والبلدان وأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم ، أما الفنية فتكمن غي تزويد القراء بمعلومات وصور ممتعة وأخبار تمتع وتستعرض الأحداث بصورة أدبية تتسق مع النفس البشرية فشكلت رافدا من روافد الفن وبهذا فقد صورة لنا رحلة "إبن بطوطة " معالم ومواقف عكست لنا ما رآه الرحالة من حرارة التفاعل ، وسيطرة وتفوق الطابع الذاتي والأدبي في كتابة الرحلة ، وهذا نظرا لصلة الرحالة بالمحيط والناس حيث نلاحظ في بدايتها الأولى كانت تشرع دائما إلى الحج بالدرجة الغالبة كعامل وعمل مستقل بعدها بدأت تتراجع لتغدو جزءا من الرحلة العامة في فترة مبكرة .

فـ " إبن بطوطة " واحد من الذين عرفوا هذا الفن ودون رحلته كنوع أدبي أصيل في التراث العربي الأدبي ، بعدما إستقى من العديدي الذين سبقوه ، وتركوا بصماتهم فيه ليستلم المشعل ويتقدم بخطوات معتبرة وإن قل عدد الذين كتبوا ودونوا رحلاتهم و نشروها ، إلا أن حجمها يختلف إختلافا كبيرا من كاتب لأخر ، كما تختلف مستويات التعبير وطرائقه بينهم وكذا الإهتمامات و المشارب و المقاصد .

ويظل هناك الكثير للبحث في هذا الموضوع و تصفح خباياه ، ويبقى المجال مفتوحا من كل جوانبه للدراسة.

المصادر و المراجع

أ/ قائمة المصادر :

1. الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، (ترو تح) عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت 2003 .
2. إبن منظور أبي الفصل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري ، لسان العرب ، ج13 ط1 ، بيروت 1992 .
3. الإمام جار الله فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري ، أساس البلاغة ، قدم له وشرح غريبه وعلق عليه محمد أحمد قاسم ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت 2003 .

ب/ قائمة المراجع :

1. إبراهيم السعافين وأخرون ، أساليب التعبير الأدبي ، ط1 ، دار الشؤون للنشر و التوزيع عمان 1997 .
2. إبراهيم السعافين ، تحولات السرد (دراسة في الرواية العربية) ، دار الشروق للنشر ط1 ، عمان 1996 .
3. إبن جبير ، رحلة إبن جبير ، سلسلة العلوم الإنسانية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية (د-ط) ، الجزائر 1988 .
4. أحمد حمد النعمي ، إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر ، ط1 ، بيروت 2004 .
5. الإدريسي ، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق ، حققه و نقله إلى الفرنسية محمد حاج صادق ، ط 82 ، الجزائر 1983 .
6. حسين محمود حسين ، أدب الرحلة عند العرب ، دار الأندلس ، ط 2 ، لبنان 1983 .
7. حسين الحاج حسن ، كتاب الأعلام في النشر العباسي ، ط 1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ، بيروت / لبنان 1413 هـ -2007 .
8. حنا الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي في المغرب ، ط 1 ، منشورات المكتبة البولسية بيروت ، دار الأصالة ، الجزائر 1982 .
9. حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية و بنية الشعر المعاصر ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، ط 1 ، الأردن 2006.
10. سيد حامد النساج ، مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا ، دار غريب ، د ط ، القاهرة ،د ت
11. سيف الدين الكاتب الرحالة محمد بن بطوطة ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ،د ط بيروت 1986 .
12. شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ، ط 1 الإسكندرية 2006 .
13. عبد المالك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي " معالجة تفكيكية سميائية مركبة لرواية زقاق المدق " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط 4 ، الجزائر 1995 .
14. عمر بن قينة ، إتجاهات الرحالين الجزائرين في الرحلة العربية ، د ط ، الجزائر 1995

15. غاستون باشلار ، جماليات المكان ، ترجمة غالب هلسا ، ط 6 ، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت 2006 .
16. فؤاد قنديل ، أدب الرحلة في التراث العربي ، ط 1 ، مكتبة الدار العربية للكتاب القاهرة 2002 .
17. فتيحة كحلوش ، بلاغة المكان " قراءة في مكانية النص الشعري " ، الإنتشار العربي ط 1 ، بيروت 2008 .
18. محمد بن عبد الله بن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " ، ج 1 ، تقديم محمد السويدي ، سلسلة العلوم الإنسانية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1989 .
19. محمد بن عبد الله بن بطوطة ، رحلة إبن بطوطة " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " ، ج 2 ، تقديم محمد السويدي ، سلسلة العلوم الإنسانية ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر 1989 .
20. محمد رياض وتار ، توظيف التراث في الرواية العربية ، د ط ، من منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2002 .
21. محمد صابر عبيد ، السيرة الذاتية الشعرية ، ط 1 ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع عمان 2007 .
22. نزار قباني ، قصتي مع الشعر ، منشورات نزار قباني ، ط 7 ، بيروت 1984 .
23. نوال عبد الرحمان الشوابكة ، أدب الرحلات الأندلسية و المغربية ، ط 1 ، المملكة الأردنية الهاشمية ، عمان 2008 .

الفهرس

مقدمة 03

تمهيد : تاريخ أدب الرحلة في التراث العربي 05

الفصل الأول : "التعريف برحلة تحفة النظار و غرائب الأمصار و عجائب الأسفار" لإبن بطوطة. 10

(1) سيرة الرحالة 11
(2) المسار الزمكاني للرحلة 14
(3) القيم التاريخية و الفنية للرحلة 17

الفصل الثاني : الجماليات اللغوية والسياقية للرحلة 24

(1) الجماليات اللغوية 25
(2) جماليات الزمان و المكان 28
(3) جماليات التنويع الثقافي والإجتماعي 40

خاتمة 46
قائمة المصادر و المراجع .